عالمان عربي وغربي

سعدت بعشرة عالمين عظيمين شرقي وغربي ، الأول عربي والثاني ايطالي ، أنفق كلاهما حياته في خدمة الآداب والمعارف ، وكانت الشام ومصر مباءة علم العربي وحصرت شهرته في الغرب ببعض الخواص ، واستفاضت في الأكثر بين من كتب مقرباً منال العلم عليهم ، واشتهر الثاني بين علماء المشرقيات في الغرب وبين خواص المشتغلين بالعلوم الحديثة في الشرق العربي .

توخى الأول بسط علوم الحضارة لقومه فأجاد وأبدع في نقله من الانكليزية الى العربية وأفاد العرب والعربية ، وشارك في نشر المدنية العربية من دون ان يعجب بها ، على النحو الذي كان عليه صنوه ، على حين كان هذا غربياً بدمه وجنسه ودينه . وكان كلاهما صادقاً في دعوته ما اعتقدا شيئاً فيه مخالفة بين باطنهما وظاهرهما ، بعيدين كل البعد عن المصانعة في علمهما ، سارا على أحسن ما يسير عليه عالم يصدع بالحق الذي يراه . وكانت فائدة العرب من الأول جزيلة ، وفائدة الافرنج من الثاني ليست بقليلة ، وكلاهما عرف في دائرة معينة ما كان غير الدارسين في الشرق والغرب عارفين بعظم مناهجهما . ولما مضيا لسبيلهما شعرت أندية العلماء بعظم خسارة العلم بهما .

قد يكون في شعوب الغرب وعلماء المشرقيات من دوله من يشابه العالم الايطالي في كثير من خصائصه ، ولكن العربي لم ينبغ مثله ، كان على صفات من الاخلاص والدؤوب وسعة المدارك على ما لم يؤته الا أفراد ، وكان الأول يسرع في نشر ما لقفه عن المعاصرين من علم في مجلته ، وكان مجال الثاني في التأليف والمحاضرات ومقالات المعلمات .

عنينا بهذين العالمين الجليلين الدكتورين يعقوب صروف وكارلو نلينو .

الدكتور يعقوب صروف

بعد فتنة الشام في سنة ١٨٦٠ قويت عزيمة أصحاب الارساليات الدينية في الغرب على نشر مذاهبها في هذا الشرق القريب ، وتنافس دعاة الكثلكة مع دعاة البرتستانتية ، فكان من ذلك تأسيس مدارس مختلفة الصبغات والدرجات في الساحل الشامي ولا سيما في جبل لبنان ، وجعلوا من بيروت ميدان المنافسات المذهبية ، فاستفاد اللبنانيون من ذلك ثقافة جديدة وأحكموا من اللغات الغربية الفرنسية والانكليزية . ومن أعظم المدارس التي كان لها الأثر العظيم في هذه النهضة الجديدة كلية الأميركان في بيروت وهي التي دُعيت بعدُ الجامعة الأميركية الانجيلية ، فانها الى عنايتها بنشر البرتستانتية عُنيت أيضاً بالعلوم والآداب وعلّمت لأول نشأتها العلوم بالعربية فتخرجت فيها طائفة من الشبان الأذكياء كان بعضهم فخراً للشام . ومن جملتهم الدكتور يعقوب صَرُّوف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولد هذا العالم يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ م (مات يوم ٩ تموز ١٩٢٧ م) في قرية حدث بيروت من أبوين فقيرين ، قيل ان جده كان من أصل رومي وأن الدم العربي قليل في دمه . ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب البرتستانتية ثم انتقل الى مدرسة عبيه الأميركية وكفله الأميركان وأخذوا بيده فظهر ذكاؤه واجتهاده ونال شهادة بكلوريوس علوم من الكلية الأميركية في بيروت في سنة ١٨٧٠ ، ودرّس بعد ذلك بسنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الأميركيتين وبعدها دعته الكلية الأميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلسفية فدرّس فيها احدى عشرة سنة .

وبدا له خلال التدريس مع تربه الدكتور فارس نمر باشا أن ينشئ مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا أستاذهما العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك

الأميركاني صاحب الأيادي البيض على العلم والعرب فشجعهما على عملهما وسمى مجلتهما « المقتطف » وبدأ يؤازر فيها وينظر فيما يترجمان ويؤلفان . وصدر المقتطف في أول أيار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ثم رأيا الانتقال الى مصر وأنشآ في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سمياها « المقطم » تناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على اصدار « المقتطف » و « المقطم » الى اليوم .

وتقاسم الشريكان العمل ، فانفرد الدكتور نمر بالمقطم السياسي وانقطع الدكتور صروف لانشاء المقتطف . وينظر صروف أيضاً في المسودات الأخيرة من المقطم ولا ينظر الدكتور نمر في المقتطف قبل نشره ، وكثيراً ما كان صروف يحذف من المقطم أشياء لا تخلو من مجازفات لا تتفق مع اعتداله وتعقله وتمس عواطف المصريين . وامتزج الشريكان حتى كأنهما شخص واحد فأثريا من معاونة الانكليز ونال المستأثر بالجريدة السياسية منهما الحظ الأكبر من مغانمهم على صورة لم يوفق الى مثلها أحد من أرباب الأقلام في بلاد العرب .

وما زال المقتطف بفضل منشئه يدأب على السير في الخطة التي رسمت له ، وجل اعتماده في مادته على المصادر الانكليزية ، يقرب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعية من أذهان الجمهور . وقد أثّر في هذا المعنى ، فكان أداة صالحة لنزع غشاوة الجهل المخيم على العقول ، ومشعلاً من نور الغرب يشع بين أبناء هذا الشرق .

وكثير ممن لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم في المدارس تلقوها من طريق المقتطف . ذلك لأن منشئه كان يتوخى السلاسة في التعبير ولا ينشر ما يتعب ذهن القارئ وينفره من المطالعة . وأذكر أن أحد معارفي أرسل اليّ من دمشق بمقالة منمقة العبارة قليلة المعاني وارادني على أن أدفعها لصاحب المقتطف للنشر ، فنامت عنده مدة حتى فرغ صبر كاتبها فأوعز اليّ

بالبحث عما آلت اليه حال مقالته . فقال لي الدكتور صروف : اني اعتدت أن أدفع مقالات المؤازرين الى ابنتي لتقرأها فاذا فهمتها أنشرها وأعتقد أن القراء يتذوقونها وإلا فلا . ومقالة صاحبك عبارة عن ألغاز ومعميات لم أدرك ما يريد أن يقول فبالطبع على تلك النسبة يكون فهم القراء وهذا ما حال دون طبعها .

نعم رُزق صروف رشاقة في بيانه لا يتكلف فيه ولا يتصنع ؛ ومهر في بسط المعاني لقرائه ، وكان من تدريسه في صباه سنين كثيرة عامل مهم لادراك حاجة المتعلم والمستمع والقارئ ساعده على افهام قرائه وتحبيب الأبحاث العلمية الجافة الى نفوسهم مهما كانت درجة معرفة المطالع ، وهذه مزية فيه قلما داناه فيها أحد ممن أنشأوا مجلات خاضت الأبحاث التي خاضها أو ما يماثلها . والسر في نجاحه أنه أتقن العربية والانكليزية وأتقن العلوم التي توخى نشرها وتخرج بعظيم أفاده علماً وتدريباً .

كان المترجَم له يقرأ المقالة الطويلة بالانكليزية فينقلها الى العربية أو يحتذيها أو يأخذ بعض معانيها وذلك باختصار لا غبار عليه . يزينها بما يوضحها ويحليها في العين والذوق . وكان حسن الاختيار فيما ينقل ويحتذي ويؤلف ، لا يخوض أبحاثاً لم يقع له أن ذاق منها ولو لماظات خفيفة ، واذا اضطر الى أن يعالج موضوعات لم تسبق له تبدو مقالته ويظهر ضعفه ، عُدَّ عليه هذا في بعض ما كتب وترجم ، والتعريب في مجلته أبداً أكثر من التأليف . وأكثر المقالات المصنفة كانت من أقلام مؤازريه . ومن قرأ أجزاء المقتطف يسقط فيها على ملخص آراء العلماء من الانكليز السكسونيين في العلوم التي يخوض عبابها ، وعلى مقالات جادت بها أقلام بعض أدباء تلك الحقبة من الشاميين والمصريين وغيرهم . ويدرك أن صاحب هذه الصحيفة كان يسير بها على سنة الترقي تزيد كل سنة مادته وتزيد معها معارف قرائه .

ولما كان له من موضوعاته ما لا يستسيغه عامة المطالعين في ذاك الدهر بدعوى أن منها ما يمس الأديان والتقاليد في الأحايين ، كان منشئها يلتزم الحياد على الأكثر فينقل ويعزو ما ينقل الى مصادر معينة ، ويترك المجال للقارئ حتى يفكر بنفسه فيما يتلو ويتدبر . وكان يتعمّد ما أمكن الابتعاد عن مزج القديم بالحديث ، وما كان ممن يحسن الظن بمدنية العرب لتشبعه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، وساء حكمه على تلك المدنية بما أبقت بيئته الأولى في نفسه من التبرم بحال من شاهد من أهلها . ومع هذا نشر لمؤازريه أبحاثاً مهمة بدون تعليق عليها الا في أمور لا تحتملها حوصلته ، ويعتقد هو خلافها بحسب ما هداه اليه علمه . ثم قد تضطره العاطفة الى أن بنوه بمن لا يستحقون التنويه ، فيترجم لهم ، ويلفق لهم أدباً ، ويزعم لهم فضائل ، ويغفل عن ترجمة من لم يشاركوه في سياسته ، أو من نقدوه وآذوه في نقدهم من علماء العصر وغيرهم . على أن التسامح العلمي باد على أكثر ما كان ينشر . ولا يحمل عطفه على بعض من حاول رفعهم الا على خُلُقٍ تخلقت به الطوائف القليلة في هذا الشرق القريب وفي غيره أيضاً . فان الطائفة القليلة العدد تتماسك وتتساند أمام الطوائف الكبرى وبعبارة أصرح انه أصبح من طبيعة المسيحيين في هذا الشرق أن يُمسك بعضهم بأيدي بعض وينوهوا بأدبائهم ورجالهم ويلفقوا لهم مزايا ويتخيلوا لهم درجات يرفعونهم اليها ، وقد يعد هذا العمل من باب التنشيط اذا لم يعبث بالحقيقة .

ومن طالع مجلة المشرق وما كتبه أصحابها من أبناء الرهبنة اليسوعية في التنويه بأبناء طائفتهم من الباباوبين يُدهش من هذه الجرأة على التصنيع والمصانعة ، ولو حاول مؤرخ معتدل أن يرد الى الصواب ما نقلوه ودونوه في أبناء الكاثوليك والموازنة لاقتضى له أن يحذف منه تسعة أعشاره ذلك لأنهم خلقوا لمن ارادوا تزيين صورهم شعراً ونثراً وتآليف وخطباً لو كان هناك انصاف لما قوبلت بغير

الطرح في سلة المهملات وقالوا عما نشروا انها كتب وأسفار وأباعوها من عامتهم ونشروها لتأييد دعوتهم فكانت سبّة على العرب والعربية وعاراً على الحقائق التاريخية ·

فتح المقتطف صدره للمناقشات في العقد الأول من حياته فنصح فانديك لمنشئيه بالعدول عن خطة المماحكات وأثبتنا له نصيحته في مجلد السنة الثامنة وقللا بعد ذلك من الأخذ والردّ في الأجزاء التالية وشغلا صفحاتها بالمفيد من الأبحاث · وراعى المقتطف ذوق الكثرة الغامرة من قرائه وما لا يعود عليه بضرر في تجارته العلمية · ومن مزج العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الأعم من حالاته · ومن أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الأخير من عمره أن يجاري بعض المجلات في نشر الأبحاث الأدبية فأجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الأدبية فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في أمور كثيرة ولا تشهد عليها مسحة مجلات الاخصائيين التي تنصرف الى علم أو علوم لا تتعداها فتطيل فيها وتتوسع ما شاءت وشاءت أغراضها · وللمقتطف عذره في ذلك ما دام أهل الاخصاء في الشرق لا يعيشون من أقلامهم وما عمّ العلم بيننا حتى يخص · ومن كان غرضه تعميم المعارف بين قرائه كافة وارضاءهم على اختلاف أهوائهم وشهواتهم الأدبية لا بد أن يسقط ولو قليلاً فيما يدعوه الخاصة لغواً او حشواً · وقد قال لنا منشئه يوماً في الكلام على مجلتنا المقتبس اننا نلوّنها بالدسم فوق اللازم فالأشبه بنا أن نضمنها ما تحمض به النفوس لتشتد قرمها الى العلم ·

لا جرم أن المقتطف كان مدة نصف قرن مباءة لنشر الأفكار والعلوم ، وكان الفضل له بأن حمل زمرة صالحة من رجال النهضة العربية من أواخر القرن الماضي على البحث والدرس والنشر ، وطال عمر مجلته فدعيت شيخة المجلات العربية ، وقد سار منشئه فيه بروح الزمن فكانت مباحثه علمية صناعية لأول أمره ، ثم أخذ يُعْنَى بأبحاث عربية وما يستهوي العامة الى مطالعته خصوصاً عندما

انبعثت شعلة الآداب من مصر ونبغ من المصريين علماء وأدباء أرقى كعباً ممن تخرجوا في مدارس المرسلين في الشام ومصر ذلك لأن الأفراد الذين امتازوا من أهل مصر أخصوا في العلوم وأتقنوا العربية ومرنوا على الكتابة والترجمة ، وجمهور من درسوا في مدارس المرسلين من المبشرين درسوا أموراً كلية قصدوا بها تلقف اللغات الأجنبية لتساعدهم على التجارة وما عُنوا العناية المطلوبة باللغة العربية وآدابها .

وللدكتور صروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية والأسماء الفنية نشرها على صفحات صحيفته فتناقلتها الأقلام ودخلت في الكتب العلمية الحديثة المترجمة . وله طريقة في النقل من اللغات الافرنجية حبذا لو يسير النقلة عليها لأنها زبدة تجارب سنين طويلة ، وهي من خير الطرق في النقل والاحتذاء . وقد تجلت في شخصه أخلاق العلماء العصاميين فهضم ما تعلم وعلّم ما عَلِم فرزق الحظوة بما كتب وعرّب ، وكثر أحبابه والمعجبون بمضائه وحزمه من جميع الطبقات والنحل . واحتفلت مصر بعيد المقتطف الخمسيني فأظهر خاصة العرب ما تكنه قلوبهم من الحرمة لهذه المجلة وصاحبيها .

وان واحداً وسبعين مجلداً كتبها الدكتور صروف في احدى وخمسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية والرياضية والاقتصادية تخلد بين العالمين ذكره ، وتضعه في الصف الأول بين الرعيل الذي حمل قبس العلم والأدب الى عقول العرب في العهد الحديث ، ولقد كان مثال العامل النشيط الى آخر أيامه يلذه عمله ويتعشقه . ولذلك أكبر العقلاء المصيبة به يوم وفاته ، وعده العرب ركناً عظيماً من أركان نهضتهم ، ورجلاً قلّ في الرجال العاملين نبوغ مثله ، رفعه علمه وأدبه ورفع هو كثيرين من حملة الأقلام ، وأرشدهم وهداهم الى البحث على الطرق العلمية الجديدة وكان أيضاً من جملة من لهم فضل عظيم على كاتب هذه السطور بعطفه عليه وتنويهه به ، وما أخلاه في بداءة عمله من ملاحظاته الرشيدة وآرائه السديدة رحمه الله وأجزل ثوابه .

الدكتور كارلو نلينو

كان الدكتور كارلو الفونسو نلينو شيخ علماء المشرقيات في ايطاليا ، وصاحب التآليف والأبحاث المُمتعة بالعربية والايطالية .

ولد في تورين يوم ١٦ شباط ١٨٧٢ وفيها درس دراسته الأولى وأخذ مبادئ اللغات الشرقية ، واعتمد منذ نشأته الأولى على ذكائه ودرسه الخاص أكثر من اعتماده على المعلمين والأساتيذ ، وبما فطر عليه من قوة الملاحظة ودقة النظر على ما لم يكتب لغير أفراد قلائل في الناس جاء منه عالم تام الأدوات ، ولمّا يبلغ سن الرشد ، على حين في العادة أن يظهر من كانوا في مثل سنه من صغار العلماء أنهم مبتدئون اذا بحثوا وكتبوا ، وأنهم في أول مراتب التحقيق العلمي اذا ألفوا وصنفوا .

عين أستاذاً للغة العربية في المجمع العلمي الشرقي في نابل وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وغدا في سن الثلاثين أستاذاً في جامعة بلرم عاصمة صقلّيّة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي سنة ١٩١٣ خصته دولته بأن أنشأت له كرسيًا لتدريس التاريخ والأبحاث الاسلامية في جامعة رومية . وكان منذ سنة ١٩٠٩ يُعهد اليه المرة بعد المرة التدريس في الجامعة المصرية ، وكان قضى في مصر في صباه أشهراً لاحكام اللغة العربية .

وكان في آخر أمره نائب رئيس مجمع لنشاي في رومية وعضواً في المجمع العلمي الايطالي وفي عدة مجامع وجمعيات ايطالية وغير ايطالية وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق منذ بدء تأسيسه وعضواً في مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة منذ أول عهده .

وعهد اليه النظر في القسم الشرقي من المعلمة الايطالية أي دائرة المعارف

الايطالية فكتب معظم مقالاتها الخاصة بالإسلام . وأنشأ مجلة الشرق الحديث تصدر بالايطالية مرة كل شهر في رومية بعناية المجمع العلمي الشرقي باحثة في السياسة وتقويم البلدان وأصول السكان والثقافة الحديثة ، وبفضل عنايته أصبحت هذه المجلة من أهم المجلات المشهورة في العالم ، وقد أدارها سبع عشرة سنة بما عرف فيه من مضاء ودؤوب ، وآزرته في عمله في العهد الأخير كريمته الفاضلة وتابعته في دروسه ورافقته في أسفاره .

كتب نلينو أبحاثاً جليلة ، وأكثر ما كتب مقالات ومحاضرات دلت على بعد غوره ونظره ، وأنه مفرد في بحثه العلمي يتجلى انصافه وأدبه مع مخالفيه وموافقيه . كان أجزل الله ثوابه شديداً على نفسه وشديداً في مناقشاته لا يحلُم عن جهل جاهل ، ولا يسكت عن غرور مزهو معجب بنفسه ، رأيناه يناقش خصومه بحماسة وقوة ، وقد يصليهم ناراً حامية من نقده ، فلا يخرجون من حواره سالمين لكنه لا يجوّز لنفسه أن يُجهِّل عليهم ولا أن يتعدى نطاق الأدب والنصفة في حوارهم . وكان اذا وسد اليه النظر في أعمال قام بها غيره يصلح هفواتها ويقوّم منآدها وينقدها وينقيها ، ولا يتعدى حدود اللطف والعطف في تقدير كل عمل قام به صاحبه بأمانة ، وظهر أن الجد لحمته وسداه .

من أبرز صفات نلينو غرامه الشديد بجلاء الحقائق وقد أفرط في ذلك الى حد الوسواس والتردد . كان يحلل كل عبارة مهما كان مصدرها تحليلاً مجهرياً ، ويفحص بمعرفته الثاقبة كل كتاب مهما كان مهماً أم غير مهم ، لا يهمل ولا يتريث ، ذلك لأنه كان يريد أن يكون في العلم كما هو في الحياة على مثل اليقين فيما يقول به ويؤيده من أنظاره .

كان اذا جرى أمامه بحث في بعض المسائل التي لم يعطها من الدرس حقه ينصت مستمعاً لما يقال استماع تلميذ جبان أمام معلمه العظيم . واذا كانت المسألة

المعروضة مما يحسن معرفته لا يحول أحد بينه وبين الكلام ، ولا يحجم عن قول كل ما يعرفه .

قال من ترجموا له انه لم يكتف من العلم الاسلامي بدراسة علم الفلك فقط بل أخذ نفسه بدرس كل ما لهذا العلم من فروع وشعب ، وكان مثالاً مفرداً في معناه بين المؤلفين ، وحجة قاطعة في الدروس الاسلامية والعربية . وقد قال مرة لأحد أصحابه : أنا لا أود أن أدع الخروج من درس العرب دراسةً خاصةً الا اذا عرفت كل شيء على حساب العرب .

ودعاه اتساع نطاق الحضارة العربية وطول مداها وترامي أطراف البلاد التي نشأت فيها ان يخرج عن دائرة الاخصاء الضيق الى ساحة النظر المطلق في كل ما له علاقة بهذه المدنية . فكان نحوياً مؤرخاً جغرافياً فقيهاً فيلسوفاً حقوقياً طبيعياً رياضياً ، ونظراته سديدة في هذه المدنية الفنية وارثة تراث الشرق السامي والفارسي الطويلة العمر (أربعة عشر قرناً) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأى نلينو في العصر الذي عاش فيه وتجرد للعمل في ميدانه أن العلم العربي الاسلامي حاد عن طريقه اللغوي واتجه وجهة جديدة في بحث الأفكار والأوضاع فتخلى عن درس الأصول وعن أخذ ما خلفته الاجيال القديمة من تراث أدبي ورجع الى القرون الوسطى الاسلامية ثم بدأ بدرس الاسلام الحاضر دراسة علمية . وما كان الاولَ ولا الوحيد الذي قاده عقله الى سلوك هذه الطريق الجديدة ، وكان بما رزق من ملكة لاستخراج مادة مبعثرة ، ومعالجة موضوع عسير ، فرداً في صبره وأناته لم يشاركه فيما نعلم غير أفراد قلائل من علماء المشرقيات فهو لم يترك قضية عربية اسلامية الا وجعل لها قسطاً من عنايته ، وتوفر على دراستها دراسة كفؤ محقق ، ودقق في فروعها وأصولها ، كاشفاً عن غوامض الحوادث المجهولة ، ومصلحاً أغلاطاً فاحشة قديمة .

تناولت دراساته اللهجات العصرية ، والتاريخ السياسي حديثه وقديمه ، والتنقل بين التاريخ والجغرافيا ، والنظر في الأساليب المختلفة في كل مظاهرها ، والبحث في عاديات اليمن قبل الاسلام وفي اسماء بلدان ليبية (طرابلس وبرقة) وفي وضع فهارس المخطوطات ، وفي تراجم الرجال وحل الكتابات الأثرية ، وكتب أكثر تآليفه بالايطالية وبعضها بالعربية ، ونشر أبحاثاً بديعة في التاريخ والجغرافيا والفلك عند العرب ، وأبحاثاً في القرآن ، وفي قبائل العرب وأصولها ، وطبع في صباه زيج البتاني الفلكي العربي مع ترجمته بالايطالية وبه اشتهر بين العلماء . ولما دعي في سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ الى التدريس في الجامعة المصرية القديمة ألقى على تلاميذه محاضرات في تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى وطبعها على حدة ، فكانت من أجل الكتب التي نشرت في هذا العصر بالعربية ، وبه وقفنا على أشياء كنا نجهلها من عناية أجدادنا بهذا العلم . ومن الكتب التي صحح أغلاطها كتاب تاريخ المسلمين في صقلية لأماري المستشرق الصقلي وهو في مجلدين بالايطالية ، فاستدرك نلينو ما فات المؤلف ، ومنها كتاب دولة عروبة لفازيليف المستشرق الروسي ، نظر فيه نظرة بليغة مع من نظر فيه من العلماء . وله عدة أبحاث في مجلة المجمع العلمي العربي وفي مجلة الهلال وبعض مقالات في مجلات أخرى يضرب فيها كلها على سندان واحد وهو تصحيح أغلاط المعاجم وتنقية العلم من الزغل والزؤان الذي وقع فيه بفعل القرون الطويلة وجهل الجاهلين .

وقد نشر في سنة ١٩٠٨ بحثاً في مجلة المجمع العلمي المصري صحح فيه ما وقع للمترجمين من تحريف في أسماء البلدان العربية ولما اطلع على ما كتبته في جريدة المؤيد ومجلة المقتبس بشأن موضوعه بعث يشكرني ويقول ان غرضه (تنبيه أولي الشأن من الشرقيين الراغبين في صون لغتهم من أيدي الضياع

ووقاية الكتب والمصوَّرات والجرائد من التحريف الشنيع) وبقي يطيل النظر في هذا الموضوع الى السنة الماضية وقد طلب مجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة تصحيح أعلام البلدان في بلاد الاسلام فصحح القسم الأعظم منها ، ما خلا الديار الشامية وجزيرتي الأندلس وصقلية ، وأبرز جداول محكمة في هذا الموضوع دلت على علو كعبه وطول درسه ، فأقر الأعضاء جداوله معجبين ، وقد كان المجمع يريد ارجاء هذا البحث الى دورة الانعقاد المقبل فأصر نلينو على تلاوة جداوله وإقرارها ، كأنه كان يلحظ من جانب الغيب أن المنية ترصده وأن تلك الجلسة آخر جلساته ، وهو يريد أن يقر المجمع عملاً له تعب سنين في اعداده ، وأن ينشر هذه الكلمات الصحيحة على الشعوب العربية والاسلامية ينتفعون بها في تقويم أسماء بلادهم .

وكتب الأستاذ مقالات ممتعة في معلمة الاسلام وأكثرها في علم الفلك والآلات الفلكية وتراجم بعض الفلكيين وغيرهم ، وكانت مقالاته في مجلة المشرقيات الايطالية في غاية الامتاع ، ومنها خلاصة ما تنشره مجلات الشرق العربي من الكتب والرسائل والأبحاث النادرة . أما الأسئلة التي كانت تعرض عليه ويجيب عنها بالتحقيق المعهود فيه فكانت وافرة جداً ، وربما تألف منها مجلدات لأن الفقيد العزيز كان كريماً بعلمه ما سأله سائل في أمر يعرفه الا بادر الى اطلاعه على ما عنده منه . سألته ان يجلو لي بعض الأنحاء الغامضة من تاريخ الفتح العربي في جنوبي ايطاليا ما عدا صقلية ، فكتب اليَّ كراسة بالفرنسية فيها زبدة تاريخ تلك البلاد فانتفعت بها في كتابي (الاسلام والحضارة العربية) وطلبت منه أن يتفضل ويكتب لي نبذة مختصرة في حياة صديقيَّ وصديقيه العظيمين جويدي وكايتاني من أكبر علماء المشرقيات في ايطاليا فاغتبط وابتسم ووعدني بأن يكتب .

والسر في كل هذه الأعمال الجليلة التي تمت على يد زميلي الكبير شدته في نظامه وتدقيقه في عمله وما رزق من ارادة قوية ، فهو رجل ما عرف الفوضى ولا التوى ولا أحجم . أحرز درجة عالية في الأبحاث التي نظر فيها ، قلما نطال الى مداناته فيها العلماء ، وهو بالنسبة لبيئته وتربيته ولما يريد بحثه من الموضوعات قد يستهدف لغضب قصار النظر ، لأن أبحاثه لا تخلو لاختلاف الدار من أشواك وحسك ، ومما يغبط عليه أنه قال ما يرضي وما يغضب فأرضى وما أغضب ، وهذه نعومة وحسن مأتى قلما يصل اليها باحث . ولذلك كثر المعجبون به في الشرق العربي ولا سيما في مصر ، وكان يحبها لأنها عرفت قدره شاباً فوسدت اليه التدريس في جامعتها وما نسيته كهلاً وضمته الى أعضاء مجمع فؤاد الأول اللغوي .

نعم كان نلينو نابغة بعلمه وتحقيقه ، فرداً في أخلاقه وهمته ، عرضت عليه أرفع المناصب السياسية في بلاده ، فما أراد أن يخرج عن هدي العلماء ، وما وجدت المظاهر الخلابة سبيلاً الى قلبه . كان يحسن بضع لغات غربية ويحذق العربية تخاطباً وتكاتباً كأحسن أبنائها . وقد فقد العلم الاسلامي به عالمًا غيوراً وعاملاً مخلصاً . فيه شجاعة وأريحية ، وفيه المروءة وعزة العلماء ، ويحق لايطاليا أن تباهي بابن لها أورثها مجداً لا تبلى على الأيام جدته ، وخليق بعلم المشرقيات أن يبكيه ، وبنا معشر العرب أن نتأمل طويلاً في سيرته وأن نعرف أنه خدم أمته وما كره غيرها ، وأنه نفع طول حياته وما أضر . ومن حق الشعوب العربية من أقصى بحر الظلمات الى الخليج الفارسي أن لا تنسى عظيماً صرف عمره في درس كل ما له علاقة بها وبتاريخها وباجتماعها وبلادها وعطف عليها وأحبها .

ولا يسعني وقد وصل بي نفس الكلام الى هذا الحد الا أن أقول ان صلاتي كانت مع صديقي الراحل وثيقة مدة ثلاثين سنة وكنت اذا حدثته أو كاتبته أشعر بأني مع عالم قريب منا بذهنيته وآدابه ، ذلك لأنه كان يحب العرب والعربية محبة صادقة ، وما ألقاه من المحاضرات وكتبه من المقالات باللغة العربية حببه الى أهلها وحبب أهلها اليه ، وكان هو والعلامة جويدي والعلامة سانتلانا من أول من ألف من علماء المشرقيات الغربيين باللغة العربية ، ثم تبعهم العلماء ريتر وكرنكو وبرتزل ومايرهوف ونيبرج وغيرهم . وكانت العادة أن يكتب المستعربون من علماء المشرقيات مقدمات الكتب العربية القديمة التي ينشرونها بلغاتهم أو باللغة اللاتينية فأصبحوا يكتبونها بالعربية وبهذا عرف أبناء العرب صورة من بحث علماء المشرقيات وعنايتهم بالعلم وتحقيقهم الممتع .

وبعد فقد كنت أود أن أعرض في هذا الحديث لتحليل روح الراحل العظيم والالمام بنشأته . ولعل أحد أصدقائه وتلاميذه يسد هذه الثلمة ليكون من سيرته لناشئتنا درس نافع وليوقنوا أن العلم بغير درس لا يحصل ، وبدون عمل لا يستفاد منه ، وأن الشهادات المدرسية والألقاب العظيمة مهما كانت وتعددت لا تغني عن الرجل ، وأن أوربا لم تتقدم الشرق الا بعملها وعلمائها ، وأن دعوى التمجد بالقديم من دون عمل لاقتباسه والزيادة عليه لا تفيدنا ، وأن الواجب على علمائنا وأدبائنا أن يجعلوا قبل كل شيء سيرة أمثال نلينو نصب أعينهم ، ولا غضاضة على من اعترف بقصوره ، وسعى الى الكمال من طرقه المعقولة .

محمد كرد علي

مقدمة العقد الفريد

كثيراً ما نغفل في مطالعتنا للكتب النظر في مقدمات هذه الكتب فنقع في أمور لا ينبغي لنا أن نقع في أمثالها ، فقد سمعت من يعترض على صاحب كتاب الأغاني ويتهمه بالتعصب لأنه لم يدوّن تراجم بعض الشعراء على أن صاحب الأغاني قد ألف كتابه ليجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية ، قديمها وحديثها ، هذه هي غاية الكتاب ، فاذا كان لقائل الشعر الذي يغنّى به أو لمغنيه أو لصانع لحنه وطريقته أو للسبب الذي من أجله قيل الشعر أو صُنع اللحن خبر يستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه أشار اليه ، واذا لم يكن لهذا كله خبر يستفاد أهمله ، هذا ما ذكره في مقدمته ، فاذا لم يدوّن تراجم بعض الشعراء فمعنى هذا ان هؤلاء الشعراء ليس لهم شعر يغنّى به واذا لم يكن لهم مثل هذا الشعر فهو قد تخطّى تراجمهم في كتابه ، فلو قرأنا مقدمة كتاب الأغاني قبل الاعتراض عليه لما اعترضنا .

وقد نقع في قريب من هذا الخطأ في حكمنا على مقامات الحريري ، فقد نظن أن صاحب المقامات قد ضمّن كتابه جدّ القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الأدب ونوادره ووشّحه بالآيات ومحاسن الكنايات ورصّعه بالأمثال العربية واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبّرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية ، قد نظن ان صاحب المقامات اقتصر على هذا التضمين والتوشيح والترصيع أي على الفن وحده وأهمل شيئاً آخر وراء هذا الفن وهو التنبيه والتهذيب .

فلو قرأنا مقدمة المقامات قبل قراءة المقامات نفسها لعرفنا أن صاحبها جمع فيها بين غايتين : غاية الفن وغاية التنبيه والتهذيب .

هذا ما يحملنا على أن نقرأ مقدمات الكتب قبل قراءة هذه الكتب لأنها تدلنا في بعض الأحيان على السبب الذي من أجله عملت هذه الكتب وعلى طريقة أصحابها فيها أو على أمور ثانية من هذا الشكل .

فما هي الأمور التي نهتدي اليها في دراسة مقدمة العقد الفريد .

اذا تجاوزنا البسملة والحمدلة وجدنا أن مقدمة العقد الفريد اشتملت على توضيح غاية الأدباء وعلى الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين وعلى مصادر الكتاب وعلى طريقة صاحبه في التأليف وعلى أجزاء كتابه .

يقول ابن عبد ربه في مقدمته :

« وبعد فان أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة قد تكلموا في الأدب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ومع كل زمان وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين واختيار جواهر ألفاظ السالفين وأكثروا في ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار والمتخير الى اختيار » .

نجد أن ابن عبد ربه في هذا الجزء من مقدمته قد أوضح غاية الذين تكلموا في الأدب ، ماهي هذه الغاية : اختصار بديع معاني المتقدمين واختيار جواهر ألفاظ السالفين ، هذا هو محور الأدب في عصر ابن عبد ربه ، الا أن صاحب العقد الفريد لم يختص بهذا الحكم العرب وحدهم وانما أطلق القول إطلاقاً فقال : إن أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة ... فان قوله : ان أهل كل طبقة قد يخلو من شيء من دقة التعبير ، فاذا اعتبرنا الأمة طبقات : طبقة النجّارين والحدّادين والخيّاطين وغيرهم استنبطنا من كلام ابن عبد ربه ان أهل كل طبقة من هذه الطبقات قد تكلموا في الأدب وما نظن ان صاحب العقد الفريد

يرمي الى شيء من ذلك وانما الذي يريد أن يقوله على ما نعتقد ان أهل كل طبقة من طبقات الأدباء في الأمم ، وعلى هذا الوجه احتاج كلامه الى بعض الدقة ، ثم رأيناه قد أطلق القول إطلاقاً فقال : ان جهابذة كل أمة . . . فهل كان واقفاً على لغات الأمم في عصره حتى يحكم مثل هذا الحكم أم جازف بالتعبير مجازفة وهو لا يريد إلا العرب فاذا كان الأمر الأول فهو مستغرب جداً ، واذا كان الأمر الثاني فان كلامه كما قلت يفتقر الى الدقة ، وبعد هذا كله أصحيح ان جهابذة كل أمة قد بذلوا مجهودهم في اختصار بديع معاني من تقدمهم واختيار جواهر ألفاظ من سلف ، فهذا حكم عام ما نظن انه مؤيد ببعض الحجج والبراهين ، وعلى كل حال فالذي نستطيع أن نستخرجه من تضاعيف هذا الجزء من مقدمة العقد الفريد ان الأدباء في عصر ابن عبد ربه كانوا اذا تكلموا في الأدب يختصرون معاني المتقدمين ويختارون ألفاظ السالفين وهذا صحيح من بعض الوجوه لأن كتب أدبنا متشابهة أو متقاربة في هذا المعنى .

اذا وضّح ابن عبد ربه في الجزء الأول من مقدمته غاية الذين تكلموا في الأدب فقد وازن في الجزء الثاني بين الأولين والآخرين من الأدباء فقال :

« ثم اني رأيت آخر كل طبقة وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب أعذب ألفاظاً وأسهل بنية وأحكم مذهباً وأوضح طريقة من الأول لأنه ناقض متعقب والأول بادئ متقدم ، فلينظر الناظر الى الأوضاع المحكمة والكتب المترجمة بعين إنصاف ثم يجعل عقله حكماً عادلاً قاطعاً فعند ذلك يعلم أنها شجرة باسقة الفرع طيبة المنبت ذكية التربة يانعة الثمرة ، فمن أخذ بنصيبه منها كان على إرث من النبوّة ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه ولا يضل من تمسّك به » .

وازن ابن عبد ربه في هذا الكلام بين المتقدمين والمتأخرين ففضّل الآخرين على الأولين في الأمور الآتية : في عذوبة اللفظ وسهولة البنية وإحكام المذهب

ووضوح الطريقة ، هذه هي عناصر التفضيل الأربعة في نظر صاحب العقد الفريد ، واذا دققنا في هذه العناصر رأينا ان ابن عبد ربه يدخل في جملة النقاد الذين يهمهم الفن قبل أن يهمهم موضوع هذا الفن فقد أشار في التفضيل الى فضائل اللفظ ولم يشر الى فضائل المعنى وعلى هذا الرأي كان أكثر النقاد في عصره وقبل عصره وقد شغلت قضية المتقدمين والمتأخرين أذهان أدبائنا في الماضي فجالوا فيها كل مجال ونحن لا ننسى في هذا الباب كلام ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء وكلام ابن فارس في كتابه الصاحبي ، فابن عبد ربه من النقاد الذين مالوا الى المتأخرين ففضلهم على المتقدمين في بعض خصائص اللفظ وبيّن سبب التفضيل ، وهذا هو السبب : ان المتأخر ناقض لأقوال من تقدمه متعقب لهذه الأقوال وان المتقدم بادئ .

وبعد أن فرغ صاحب العقد الفريد من هذه الموازنة بين الأولين والآخرين رغب الى القارئ أن ينظر الى ثمرات القرائح ونتائج الخواطر نظرة إنصاف وأن يحكّم عقله في هذه النظرة .

واذا انتقلنا من هذين القسمين من أقسام مقدمة العقد الفريد الى القسم الثالث وجدنا ان صاحب الكتاب قد دخل في موضوع كتابه فأشار الى مصادر هذا الكتاب فقال :

« وقد ألّفت هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب وانما لي فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء واختيار الكلام أصعب من تأليفه وقد قالوا : اختيار الرجل وافد عقله وقال الشاعر :

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون : عقول الناس مدوّنة في أطراف أقلامهم وظاهرة في حسن اختيارهم » .

يدلنا هذا الكلام على مصادر العقد الفريد ، فان مادته مأخوذة من أفواه العلماء ومأثورة عن الحكماء والأدباء فابن عبد ربه ليس له فيه الاّ الاختيار وحسن الاختصار ولهذا نجده قد أسهب في مدح حسن الاختيار وهو يرمي في هذا الاسهاب الى مدح نفسه حتى اعتبر كتابه جوهر الجوهر ولباب اللباب ، ولكن ما هي طريقته في الاختيار والاختصار ، انه لم يغفل عن توضيح هذه الطريقة فقد قال في الجزء الرابع من مقدمته :

« فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال ثم قرنت كل جنس الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب » .

من هذا يتبين لنا انه رتّب كتابه ترتيباً ولم يجعله فوضى فكان مثلاً اذا بحث عن الخطب جمع طائفة من خطب العرب في باب واحد حتى يكون للقارئ فكر عام فيها وكذلك فعل في كل باب من أبواب كتابه فهو لا يبحث في باب الحروب عن العلم والأدب ولا يبحث في باب العلم والأدب عن الخلفاء وتواريخهم وهذا ترتيب حسن يسهّل للقارئ قراءة الكتاب ، كان ابن عبد ربه قبل هذا الكلام لا يذكر في مقدمته من الأدب الاّ عذوبة اللفظ وسهولة البنية واحكام المذهب ووضوح الطريقة أما الآن فقد رأيناه يشير الى المعاني والحكم والأمثال ، على انه لا يلبث بعد هذه الاشارة أن يعود الى مذهبه في الفن فيذكر ما يهمه من هذه المعاني والحكم والأمثال أي من هذه الأخبار والآثار :

« وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار الى أشرفها جوهراً وأظهرها رونقاً وألطفها معنى وأجزلها لفظاً وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة

آخذاً بقول الله تبارك وتعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .

فابن عبد ربه يهمه من الأخبار التي اختارها والآثار التي اختصرها شرف الجوهر وظهور الرونق وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة ، وهذه أمور صلتها بالفن نفسه فكأنه لم يؤلف كتابه الا للترويض على هذا الفن .

وقد جرى في مقدمته على قاعدة معروفة فهو اذا قذف برأي من الآراء أيّده باستشهادات شتّى فانه لما قال في كتابه ان له فيه تأليف الاختيار جاء بكلام يدل على حسن الاختيار وموقعه ولما أشار الى مذهبه في تفضيل شرف الجوهر وظهور الرونق وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة استشهد بآية من القرآن الكريم : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وبكلام يحيى بن خالد : يكتبون أحسن ما يسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويحدثون بأحسن ما يحفظون كما استشهد بكلام طائفة من أهل العلم والأدب .

ونراه في هذا الجزء نفسه من مقدمته يستمر في توضيح طريقته في تأليف كتابه ، من هذه الطريقة حذف الأسانيد :

« وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من التثقيل والتطويل لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها وقد كان بعضهم يحذف اسناد الحديث من سنّة متبعة وشريعة مفروضة فكيف لا يحذفه من نادرة شاردة ومثل سائر وخبر مستظرف ، سأل حفص بن غياث الأعمش عن اسناد حديث فأخذ بحلقه وأسنده الى حائط وقال : هذا إسناده ! وحدّث ابن السمّاك بحديث فقيل له : ما إسناده قال : هو من المرسَلات عُرْفاً ، وحدّث الحسن البصري بحديث فقيل له : يا أبا سعيد ! عمّن ، قال : وما تصنع بعمَّن يا ابن أخي ! أما أنت فنالتك موعظته وقامت عليك حجته » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

درج كثير من رجال الأدب في الماضي على ذكر الأسانيد في أخبارهم وآثارهم حتى تتم الثقة بهذه الأخبار والآثار وعلى قدر الثقة بالأسانيد تكون الثقة بالروايات والحكايات واذا رجعنا الى كتاب الأغاني وجدنا صاحبه يهتم بالأسانيد الاهتمام كله فيخطّئ بعض الرواة ويطعن على بعضهم حرصاً على الحقيقة أما ابن عبد ربه فالذي يهمه على ما يظهر انما هو ما يقال لا من يقول فكأنه جمع لنا هذه الجملة الرائعة من جواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال حتى تحصل لنا ثقافة أدبية تامة ، وسواء عليه بعد ذلك أكانت هذه الحكم وهذه الامثال وهذا الأدب مأخوذة من فلانٍ من الرواة أم من فلان فنحن اذا قرأنا كتاب العقد الفريد فلا نبالي بصحة ما جاء فيه بقدر ما نبالي بروعته وحسنه ، نستنبط من هذا انا اذا رجعنا الى العقد الفريد للاستشهاد بخبر من أخباره أو بأثر من آثاره لزمنا التوثق من صحة هذا الخبر وهذا الأثر ووجب علينا أن ننصرف الى الفن في رواية الأخبار والآثار أكثر من انصرافنا الى حقيقتها ، وليس معنى هذا ان ما جاء في العقد الفريد من حكم وأمثال وأدب انما هو منحرف عن الحقيقة ولكن معناه انه يلزمنا الشك فيها قبل كل شيء حتى نخلص من هذا الشك الى اليقين .

ولقد ختم ابن عبد ربه توضيح طريقته في تأليف كتابه بالكلام الآتي :
« وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون الأخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور » .

بدلنا الصدر الأول من هذا الكلام على ان صاحب العقد الفريد توخّى في تأليف كتابه تعميم الثقافة الأدبية التي كانت أُصولها مطلوبة في عصره ، فهو لم يجمع الأخبار والآثار لطبقة دون طبقة ولا لفئة دون فئة وانما جمعها للعامة والخاصة وللملوك والسوقة حتى ينشر الثقافة الأدبية ومثله في عصرنا هذا كمثل الذين يكتبون في مبادئ العلوم أو الفلسفة بلغة سهلة بسيطة حتى تدخل هذه المبادئ في أذهان الناس كلهم ، فغايته تعميم الأدب ولما كان للشعر مقام أول في الأدب حلّى كل جزء من أجزاء كتابه بشواهد من هذا الشعر من جنس الأخبار والآثار التي يرويها .

ولكن الشيء المستغرب في هذا كله أن يذكر شعره الى جنب الأشعار التي يرويها لأن المستحسن في مثل هذا الباب أن ينسى المؤلف شعره اذا كان شاعراً وقد وقع في مثل هذا الأمر ابو هلال العسكري في كتاب الصناعتين فكان اذا روى شعراً لأمثال جرير والفرزدق والأخطل وأبي تمام والبحتري وغيرهم من أمراء الشعر قرن هذه الرواية بشعره فأحسّ القارئ بضعف هذا الشعر اذا قيس بشعر أئمة الشعر على أن شعر ابن عبد ربه لا يشبه بشعر العسكري فانه شاعر مطبوع .

وأخيراً نصل في منتهى المقدمة الى تسمية الكتاب الذي ألّفه ابن عبد ربه والى أجزاء هذا الكتاب :

« وسميته : كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً ، كل كتاب منهما جزآن فتلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا هو كتاب العقد الفريد ، لقد فصّل صاحبه في مقدمته الكلام على غاية الأدباء ثم وازن بين المتقدمين والمتأخرين وفضّل الآخرين على الأولين وأتى على ذكر عناصر التفضيل ثم أشار الى مصادر كتابه المأخوذ من أفواه العلماء ، المأثور عن الحكماء والأدباء ثم وضّح طريقته في اختيار ما اختاره من الأخبار واختصار ما اختصره من الآثار ثم بيّن مذهبه في الفن ثم تكلم على غايته في تعميم الثقافة الأدبية ثم ختم المقدمة بذكر اسم كتابه وأجزاء هذا الكتاب .

وأظن أنه يهون علينا بعد هذا كله أن ندرك ما هو كتاب العقد الفريد .

اذا كنا ندرس تاريخ الأدب فانا نجد في العقد الفريد أصولاً نهتدي بها في دراسة هذا التاريخ لأن فيه أخباراً وآثاراً مختلفة تبدأ من الجاهلية وتنتهي في عصر ابن عبد ربه ، ولكنّ صاحبه لم يتوخَّ شيئاً من هذا كله وانما أراد أن يهيئ لأهل عصره هذه الأخبار والآثار حتى تغزر بها مادّتهم الأدبية ويريد بهذه المادة عذوبة اللفظ وسهولة البنية وإحكام المذهب ووضوح الطريقة وشرف الجوهر وظهور الرونق وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة .

لو اخترنا في عصرنا هذا جملة من آثار الأدباء أكنا نجري في اختيارنا على طريقة ابن عبد ربه ، ان الأدب الحديث ينكر هذه الطريقة ، فان الذين يجمعون آثار الأدباء أو ينتخبون من هذه الآثار طائفة يجمعونها في كتاب يجرون في انتخابهم على أصلين :

إما انهم يتبعون عصور الأدب ، فيأخذون من كل عصر شعراءه وكتّابه وخطباءه وعلماءه وأدباءه المشهورين ثم ينتخبون من هذه الطبقات كلها أحسن كلامهم وعلى هذا الشكل نحيط بتسلسل عصور الأدب وبخصائص هذه العصور .

وإما انهم يتبعون تسلسل الفكر فيبدؤن مثلاً بالشاعر الذي ابتكر مذهباً من المذاهب ثم يذكرون الشعراء الذين مشوا على آثاره أو الشعراء الذين نقضوا هذا المذهب وعلى هذا الوجه نلمُّ بتسلسل الفكر وبانتقاله من طور الى طور على تراخي الأيام ·

واذا أردت أن أضرب مثلاً لذلك فاني أضرب المثل الآتي ·

ان المتعارف ان أبا نواس هو الذي فتح باب الخمريات في الشعر ولكن أبا الفرج الأصبهاني يردُّنا الى الصواب ويدلنا على حامل اللواء في وصف الخمر حين يقول : وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في شعرهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فانه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره مكررها في عدة مواضع منه ·

فاذا كنا نضع كتاباً في انتخاب جملة من أشعار المتقدمين ونشير في هذا الانتخاب الى وصف الخمر فانا نبدأ بشعر الوليد ثم بشعر الشعراء الذين أخذوا معانيه وأدخلوها في شعرهم حتى نرى بأعيننا تسلسل هذا الشعر وانتقال المعاني فيه من طور الى طور ·

شفيق جبري

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الخامس عشر

– ٢ –

ص ٣٣٥ سطر ١ قوله (فكهنت وقالت (أي الكاهنة) والنور والظلماء والأرض والسماء الخ) . ضبط المصحح فعل (كهنت) بكسر الهاء . وكأنه سرى اليه هذا الوهم من قول التاج في مستدركه (كهن كهانة بالكسر اذا تكهن) فان قوله (بالكسر) راجع الى كاف (كهانة) المصدر والا فإن فعل (كهن) من أبواب منع ونصر وكرم لا غير .

ص ٣٣٥ سطر ١١ قوله عن الجرذ الذي خرّب السدّ (فان رأيت جرذاً يكثر بديه في السدّ الحفر . ويقلب برجليه مراجل الصخر) الى أن قال (فانطلق الى السدّ فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً) قوله (بديه) صوابه بيديه وقوله (مراجل الصخر) المراجل القدور التي يطبخ فيها وقد تكون من حجارة فكأنه يريد الصخر الذي تتخذ منه مراجل . وفيه من التكلف ما فيه . فلعل كلمة (مراجل) محرفة عن جلامد ونحوها .

ص ٣٣٦ سطر ١٦ قوله (اغتنموا غضبة عمرو) ضبطت (غضُبة) بضم الضاد وصوابه (غَضْبة) بسكونها . وكأن المصحح اشتبه عليه ضبط (الغضبة) وهي بناء المرة من الغضب بضبط (الغَضُبَّة) وهي وصف للرجل الغضبان . فكما يقال غضبان وغضوب يقال رجل (غَضُبَّة) بضم الضاد لكن مع تشديد الباء . وهنا لا تصلح ارادة الوصف كما لا يخفى . وانما المراد معنى المرة من الغضب .

ص ٣٣٧ سطر ٣ قوله (وهم أبناء قبيلة الأوس والخزرج) صوابه (أبناء قيلة) ثم أبدل من (قيلة) كني (الأوس والخزرج) . في القاموس وشرحه (قيلة أم الأوس والخزرج وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية . ويقال بنت جفنة غسانية . ذكرها الزبير بن بكار وغيره وترجمتها واسعة في (المعارف) وشروح (المقامات) .

ص ٣٣٧ سطر ١٤ قوله (وفي ذلك للمؤنسي أسوة الخ) صوابه (وفي ذاك) ليستقيم الوزن .

ص ٣٤٠ سطر ١١ قوله (أيصلح تمشي في الدماء فتيانكم) صوابه (في الدما) من دون همز ليستقيم الوزن . أو بالدماء فتاتكم بالافراد . وهو الموافق للقصة . وقوله بعده (خلقتم لأثواب العرائس وللغسل) صوابه (والغسل) ليستقيم الوزن أيضاً .

ص ٣٤١ سطر ١٧ قوله (فأمَر كل انسان ان يقتلع شجرة الخ) هذا من كلام (رياح) أخي زرقاء اليمامة للملك يحذره منها . فهو فعل أمر طلبي لا فعل ماض خبري . فصوابه (فلا ومُر) أو (فمُر) والاكان مكرراً مع قوله بعده (فأمر حسان (أي الملك) بذلك) .

ص ٣٤٢ سطر ١ قوله (واني لا أرى رجلاً من وراء شجرة) صوابه (لأرى) باللام المؤكدة لا بلا النافية .

ص ٣٤٥ سطر ٤ قوله (حتى أتى ضفنّة فاحتفر تحتها) الضفنّة جانب الوادي قال المصحح وفي الأصل (حتى أتى صُعْدة) أقول والصعدة هو الصواب وهي بضمتين أو بضم فسكون ضرب من الشجر وجمعها صُعُدات وانما رجحنا (الصُعُدة) لما يأتي من قوله بعد (وهو في أولئك الصُعُدات) وقوله (فجعلا يربغان رياحاً بين الصُعُدات) فرياح خرّج من حفرته وأفلت بين الشجرات التي احتفر تحتها . وقوله (تحتها) يناسب الاحتفار تحت الشجرات لا تحت الضفنة اذ يقال احتفر في الضفنّة واحتفر تحت الشجرة .

ص ٣٤٧ سطر ١ قوله (وكانت تماضر بنة عمرو بن الشريد) قوله (بنة) كذا بتاء مربوطة من دون همزة . وكأن المصحح سوّغ حذف همزتها حملاً على (ابن) والا فالأظهر أن تكتب (ابنة) بهمزة أو (بنت) بتاء مبسوطة وفي المصباح (قال ابن الأعرابي وسألت الكسائي كيف تقف على بنت؟ فقال: بالتاء اتباعاً للكتاب والأصل بالهاء؛ لأن فيها معنى التأنيث).

ص ٣٤٩ قول المصحح في تفسير (أشرجت عليها القبة) جمعتها غير سديد إذ أن معنى أشرج الخريطة داخل بين أشراجها . وأشراجها عُراها . وللقبة أي الخيمة أشراج وعُرى تكون على أبوابها المنسدلة فاذا ناموا أدخلوا الأشطنة (وهي أعواد عُقف بمثابة الأزرار) أدخلوها في العرى . وبذلك تشد اغلاق الأبواب فلا يدخل على النائمين أحد . والشريجة مشتقة من هذا .

ص ٣٥١ سطر ٦ قوله (وكان يجبي من بها من العرب) صوابه (وكان أي ملك هجر يجبي) من الجباية .

ص ٣٥٣ سطر ١٧ قوله (لمجل) صوابه لعجل .

ص ٣٥٣ قول المصحح في الذيل (ويخبرها نسباً اذا عُدّت الى أنسابها) صواب (عُدّت) (عادت) ليتعلق به حرف الجر (الى) ومعنى عادت خندف الى أنسابها رجعت اليها تعدّها وتفاخر بها القبائل .

ص ٣٥٥ سطر ١١ قوله (هذا نسب رحم كرشاء) قال المصحح (الرشاء الحبل) . بقي أن يقال ان الكاف الداخلة عليها حرف جر . فقد جعل الرحم أو نسب الرحم مثل الحبل . ولا حاجة الى هذا ما دام القاموس وشرحه واللسان يقولون في مادة (كرش) ما نصه: (والكرشاء من الرحم البعيدة يقال بينهم رحم كرشاء) . وهذا بمعنى ما نقول في لهجتنا الدارجة (بينهم قرابة بعيدة) .

ص ٣٥٦ سطر ٥ قوله (وأمر ابنَ الخمس به فقتله) ظاهر العبارة أن

تكون هكذا : (وَمر (أي المالك) ابن الخمس فقتله به) اي ان ابن الخمس قتل الحارث به أي بأبيه الخمس .

ص ٣٥٨ سطر ٣ قول عنترة في رثاء مالك بن زهير (فلله عيناً مَنْ رأى مثل مالكٍ) نونت (عيناً) بالنصب خطأ . وصوابه ترك التنوين لكونها مثنى مضافة الى (من) بعدها أي (من رأى مثلَ مالكٍ لله عيناه) يغبط تلك العين ويمدحها من حيث ان ذلك يؤدي الى مدح مالك وتقريظه . وهذا على حد قول مالك ابن نويرة (الأغاني ص ٣٨٥) (فلله عينا من رأى مثل خيلنا) فان (عينا) هذه لم تنون وكذا ينبغي أن لا تنون هنا أيضاً . ولو صح تنوينها لوجب أن يقال (فلله عين أو عينان) بالرفع مبتدأ وخبر .

ص ٣٦٢ سطر ٣ قوله (اني جزيت بني بدر بسعيهم) أو الصواب (ببغيهم) .

ص ٣٦٢ سطر ١٥ قوله (وقد تواترت الظُّعن عنهم) صوابه توارت الظعن أي الهوادج وفيها النساء . وكان قال من قبل إنهم قدموها لتسبق فلا يسبيها العدو .

ص ٣٦٢ سطر ٢٠ قوله (يوم الهبائتين) صوابه يوم الهبائين ليستقيم الوزن .

ص ٣٦٣ سطر ١٠ قوله (يوم غدير قلبي) صوابه قَلَهَى بالتحريك بوزن جَمَزَى اسم قرية كبيرة في واد على مقربة من المدينة .

ص ٣٦٣ سطر ١٢ قوله (لا نرضى حتى يودوا قتلانا) صوابه يَدُوا بفتح الياء وضم الدال من فعل ودى القاتلُ القتيلَ يديه أعطى وليَّه ديته . أما يودوا بالواو بعد ياء المضارعة فمن فعل (أودى) اذا هلك ومات وليس مراداً هنا .

ص ٣٦٤ سطر ١٣ قوله في العنوان (لعبس على بن عامر) صوابه على بني عامر .

ص ٣٦٥ سطر ١٧ قوله (قد ترَّبَتْ الرطبة) صوابه تربت اي مرغتها بالتراب . والرطبة جمة معاوية بن الشريد أي مجتمع شعر رأسه .

ص ٣٦٦ سطر ٦ قوله (وأنفذها هاشم سنانه عن عانة معاوية) الظاهر

ان صواب الجملة هكذا (وأنفذ هاشم سنانه عانة معاوية) أو (في عانة معاوية) قال الزمخشري في الأساس (رميته فأنفذته · وأنفذتُ فيه السهم) ·

ص ٣٦٩ سطر ١١ قوله (اني أرى عينيه تبصّ) صوابه عينه ·

ص ٣٦٩ سطر ١٢ قوله (فخرج دم قد احتقن) ضبط (احتُقِن) بالبناء للمجهول وصوابه للمعلوم يقال احتقن الدم اذا اجتمع في الجوف من طعنة جائفة ·

ص ٣٦٩ سطر ١٦ قوله (وكانت تلك المرأة في قوم مختارين لا يشعرون بالوقعة) صواب مختارين منحازين ففي الأساس (انحاز عن القوم اعتزلهم) وتقول عن أوليائك اذا انسحبوا من المعركة انحازوا وحاصوا اما عن اعدائك فتقول انهزموا وولوا مدبرين · ونقول اليوم مكان انحازوا (انسحبوا أو تراجعوا بنظام) · وكأنه تعبير اوروبي يريدون به تخفيف وقع الهزيمة كما يقول العرب انحازوا أو حاصوا وفي القرآن (إلا متحيّزاً لقتال) ·

ص ٣٧٢ سطر ٤ قوله (إذ جاءه نسوة تهادين اليه) هنا ملاحظتان : (١) صواب (تتهادين) يتهادين بياء الغيبة · (٢) صواب (اليه) حذفها للاستغناء عنها بضمير النصب في جاءه · ومعنى يتهادين يتمايلن ويتبخترن ·

(قلت اذ أقبلت وزُهر تَهادَى كنعاج الفلا تعسّفن رملا)

ص ٣٧٦ سطر ٢ قوله (فحوّل عن سرجه الى جنْب أبدانه) ضبط المصحح جنب بسكون النون ولم يفسر المراد منه وفي (العقد) طبعته المصرية الأخيرة (أبدائه) بالهمزة مكان النون وفسر مصححوه (الأبداء) بالمفاصل · ولكن يفهم من كتب اللغة أن المراد بمفاصل الجزور أو عظامه التي عليها اللحم ما كان منها مُعَضّى مجزأً مقسماً الى أنصباء توزع على المقامرين · وما معنى تحول الفارس عن فرسه الى جنب مفاصله ؟ · · والذي أراه أن (جَنَب) بفتح النون لا بسكونها وهو الخيل التي تُجنب الى جنب الفارس يتحول اليها

حين الحاجة . وفي القاموس (خيل جنائب وجَنَب محركة) والأبدان جمع بدَن وبدن جمع بدنة الدرع . فعامر لما طُعِين تحول عن مسرجه والتحول عن السرج تحول عن الفرس نفسها وكان في جنبه خيل معدة لتحميل الدروع عليها وهي التي سماها (جَنَب الأبدان) فركب احداها ثم لحق ضراراً الضبي الى آخر القصة . هذا ما أمكن حمل عبارة المؤلف عليه ما لم يعثر على نص أصح فيرجع اليه .

ص ٣٧٩ سطر ١٤ قوله (وليعصوا همام بن بشامه) صوابه وليعصوا من العصيان بدليل قوله بعده (ويطيعوا ابن الأخنس) .

ص ٣٧٩ قول المصحح (العوسج الشوك) فيه تسامح . وكان الأحسن ان يقال العوسج شجر ذو شوك أو من شجر الشوك .

ص ٣٧٩ قوله عن همام بن بشامة (فإنه مشؤوم محدود) فسر المصحح المحدود بالممدود وليس بسديد فلعل (المحدود) محرف عن (المحروم) وهو الممنوع من الخير الذي لا ينمو له مال أو لا يكاد يكتسب . يقال فلان محروم ومحدود ومحارَف ومشؤوم وضده المجدود (بالجيم) والمحظوظ والميمون والمبخوت .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٣٨٠ سطر ١ قوله (فآتاهم الرسول فأبلغهم) صوابه فأتاهم بهمزة غير ممدودة أي جاءهم أما (آتاهم) بمدها فمعناه اعطاهم وليس مراداً .

ص ٣٨٠ سطر ٨ قوله (وأما تشكّي النساء فيخبركم أنهن قد عملن حجلاً يغزون به) لا معنى لقوله عملن حجلاً . وحجل المرأة خلخالها . والخلاخيل لا يغزى بها . وصوابه (قد عملن شِكاءً) جمع شكوة وهي القربة الصغيرة للماء وغيره . يقال شَكّت المرأة واشتكت وتشكّت كله بمعنى اتخذت لها قربة . فتشكي النساء يحسن ان يفسر باتخاذهن قرباً للماء يغزون بها العدو مع رجالهن الغازين يساعدنهم ويسقين جرحاهم وفي كتاب (أيام العرب) ص ١٧٢ ما نصه (وأما اشكاء النساء فيخبركم أنهن قد عملن الشِكاء يريد خرَزْنَ

شكاة يغزون بها) والكلام وارد في أخبار (يوم الوقيط) وهو اليوم الذي يروي المؤلف النويري خبره .

ص ٣٨٠ قول المصحح في تفسير الصمّان (جبل أحمر) سهو ظاهر وصوابه جبل أحمر .

ص ٣٨٢ قول المصحح في تفسير المزادة بالرواية سهو أيضاً وصوابه (الراوية) بتقديم الألف على الواو .

ص ٣٨٥ سطر ١٥ قوله (مثل خيلنا) بهمزة سهو صوابه مثل بالثاء المثلثة .

ص ٣٨٦ سطر ١١ قوله (سود المآلَ) كذا بفتح اللام وهو سهو صوابه (سود المآلي) بالياء في الآخر وهو جمع (مئلاة) وهي الخرقة تمسكها المرأة حينما تنوح على الميت ويروى (سود الليالي) .

ص ٣٨٧ سطر ١٤ قوله (فركض حتى يَشرف مليحة) بفتح ياء يشرف والظاهر أن يكون صوابه حتى يُشرف على مليحة) ومليحة اسم موضع . وفي العقد (حتى أشرف على مليحة) .

ص ٣٨٨ سطر ٥ قوله (ففاقت الطلب) صوابه ففاتت .

ص ٣٨٨ سطر ١٦ قوله (فوكبت عليهم بنو مالك) صوابه فركبت .

ص ٣٩٠ سطر ٥ قوله (فأخذ قيس بن عاصم بحيث يكلم الحوفزان) لعل في الكلام كلمة ساقطة ويكون الأصل هكذا (فأخذ قيس يقرب أو يقترب أو يدنو بحيث يكلم الحوفزان) .

ص ٣٩٠ سطر ٧ قوله (لا يلحقه) صوابه لا يلحقه .

ص ٣٩٢ سطر ٢٠ قوله (فلا كُشُفُ) ضبطت بفتح الكاف وسكون الشين وصوابه ضمها وهم الذين لا تروس معهم أو ينهزمون . ولا واحد له . وبذلك يستقيم وزن البيت أيضاً .

ص ٣٩٣ سطر ١ قول الشاعر (نحن الذين هزمنا يوم صبّحنا جيش الزُوَرَين الخ صوابه الزُوَيْرين بالتصغير اسم للجملين وبذلك يستقيم الوزن .

ص ٣٩٣ سطر ١٠ قوله (ذي الحدّين) صوابه الجدين بالجيم المعجمة .

ص ٣٩٤ سطر ١٦ قوله (هؤلاء فأرى يا آل تميم) صوابه ثأري أي موضع ثأري دعوني أنتقم منهم .

ص ٣٩٥ سطر ١٢ قوله (ثم أجال في متن ذات النسوع وهي فرس بسطام) . أجال بالجيم وصوابه أحال بالحاء المهملة كما مر في ص ٣٨٧ سطر ١٤ من قوله (فاذا أحس بكم أحال على الشقراء) غير ان صاحب (البستان) يقول ما نصه (قيل ان كلام العرب حال على ظهر فرسه وأحال في ظهر فرسه) يعني ان فعل (حال) الثلاثي يتعدى بحرف الجر (على) وأحال الرباعي يتعدى بحرف (في) وهذا خلاف ما جاء في عبارة المؤلف .

ص ٣٩٦ سطر ١ قوله (فصاحوا بين في الابل من الحامية والرعاية) صوابه والرعاة بالتاء أو الرعاء بالهمزة وكلاهما جمع للراعي . أما الرعاية فمصدر ولا يسوغ استعماله هنا الا على استكراه .

ص ٣٩٦ سطر ٩ قوله (يا أيها المائح دلوي دونكا) صوابه الماتح بالتاء المثناة لا النون أو هو المائح بالهمز . والفرق بين الماتح والمائح ان الماتح يستقي ماء الركية وهو على رأسها والمائح يملأ الدلو وهو في قعرها وسئل الأصمعي عن الفرق بينهما فاختصر قائلاً (الفوق للفوق والتحت للتحت) أراد ان المتح بنقطتين من فوق هو الاستقاء من فوق البئر . والميح بنقطتين من تحت هو الاستقاء من تحت البئر . ومن أمثال العرب (هو أعرف من الماتح باست المائح) .

ص ٣٩٨ سطر ٢ قوله (فأجمشت اي البسوس جسّاساً) صوابه فأحمشت بالحاء المهملة لا الجيم ومعناه هيجت وأغضبت . وحَمَشَ غضب .

ص ٣٩٨ سطر ٩ قوله (والا فخبّر) بالياء المثناة صوابه (فخبّر) بالباء الموحدة .

ص ٣٩٨ سطر ١٠ قوله (وهو غير زؤان) صوابه (دِفان) يقال ركية أو بئر دِفان اذا كان قد اندفن بعضها . والأحصّ وشُبَيْث ما آن من مياه العرب فهو يقول ان (شُبَيْثاً) لم يُدفن منه شيء .

ص ٣٩٩ سطر ١٤ قوله (فانطلقوا به الى رجالكم) صوابه رحالكم بالحاء المهملة أي مساكنكم او حيث انتم نزول .

ص ٤٠٠ سطر ٢ قوله (كيف أهدى) كُتبت (أهْدَى) بالياء وصوابه أَهْدَا بالألف لأن أصله (اهدأ) بالهمز فخفف .

ص ٤٠٠ سطر ٨ (كنا أنابيبها) كتبت (كنا) بالنون وصوابه (كُمْتاً) بالتاء المثناة . والكمتة سواد في حُمرة وهو لون التمر . وكذا يكون لون عيدان الرماح .

ص ٤٠٠ سطر ٩ قوله (فتوردها بيضا) صوابه فنوردها بنون الجماعة ثم قال ونصدرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٤٠١ سطر ٣ قول المؤلف وهو يعدد اسماء من قُتل يوم الذنائب (وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الحرقيَيْن) علق المصحح على (الحرقيين) قوله (الحارقة عَصَبة متصلة بالورك) ولا علاقة لهذا التعليق بكلمة (الحرقيين) وفي كتاب (العقد) طبعته الاخيرة (وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الحَرقَيْن) وضبطت بالشكل بفتح الحاء وكسر الراء تثنية حَرِق وهو تصحيف فضلاً عن الخطأ فى تيم وصوابه تيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد (الحُرَقتين) تثنية (حُرَقة) وزان هُمَزة . ففي القاموس وشرحه (والحُرَقتان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة والدتهما حُرَقة بنت النعمان بن المنذر) .

ص ٤٠٢ سطر ٥ قوله (وقد أشرف في الدماء) صوابه أسرف بالسين المهملة أي أكثر من سفكها .

ص ٤٠٣ سطر ٥ قوله (عن حيالى) ثم قوله سطر ٧ (اليوم صال) كانتا الكلمتين قافية وكان ينبغي ان تكتب (حيالى) (حيال) من دون ياء . والحيال عدم حمل الانثى . وتكتب (صال) صالي بالياء لأنهـا اسم فاعل لفعل صلى النارَ فامى حرها واحترق بها .

ص ٤٠٤ في تفسير المصحح لعالية الرمح بالسنان تسامح . والأقوم ان تفسر العالية بصدر الرمح حيث يركب السنان .

ص ٤٠٥ سطر ٤ قوله (وكان الخباء من أُدَم صوابه (الحباء) بالحاء المهملة إذ المراد بالحباء العطاء اي المَهر كما يفهم من سياق القصة . اما الخباء بالمعجمة فالبيت من وَبَر أو صوف ويقام على عمودين او اكثر وليس مراداً هنا .

ص ٤٠٦ سطر ١٠ قوله (ثم طعن في نيطة ثمات) صوابه (في نَيْطه) بفتح النون وضمير الغائب والنَّيْط قيل هو نياط القلب وهو علاقته . واذا وقع طعن الرمح فيه مات صاحبه . ولذا قال هنا معقبّاً (ثمات) والأكثرون على ان قول العرب (طعن (مبنيًّا للمعلوم او المجهول) في نَيْطه) تعبير يراد به الموت . واختلفوا في أصله . وفي العقد (ثم طُعن في نيطه أي مات) فقوله أي مات تفسير لا تفريع وهو يؤيد ما قلنا ومنه قول سيدنا علي (لَوَدَّ معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة الا طعن في نَيْطِهِ) .

ص ٤٠٧ سطر ١ قوله (انما أدفع الثواب الى قاتله) سقط قبله قوله (فقال) أي سلمة .

ص ٤٠٧ سطر ١٢ قوله (ولا تأمنون دوران العرب) الدوران معروف يقال دوران الكواكب ودوران الدم في البدن . أما (دوران العرب) فلا يقوله البلغاء في مثل هذا المقام وانما يقولون (ذؤبان العرب) جمع ذئب اي لصوصهم وصعاليكهم والمقام يستدعي هذا المعنى .

ص ٤٠٧ قول المصحح (هجر اسم الأرض بالبحرين) موهم غير المراد من كلمة (هجر) إذ المراد منها مدينة هجر نفسها كما هو صريح قول المؤلف ·

ص ٤١٠ سطر ١٩ قوله (اني رجل أحب اللبن) صوابه (اللبن) بباء موحدة كأنه يقول له استسلم لآخذ فديتك نياقاً ذات لبن فاني أحبه ·

ص ٤١٠ سطر ٢٠ قوله (حتى جنّتاه عند الأهثم) صوابه خَبَأْه عند الأهثم ·

ص ٤١١ سطر ١٢ قوله (اني ممل) صوابه مُمحل بالحاء المهملة أي أصابني المحل وهو الجدب · يريد انه في حاجة الى فداء أسيره وقوله بعده (ولا تطيب نفسي على أسيري) صوابه (عن أسيري) ·

ص ٤١٢ قول المصحح (كرّي نفسي) يوهم انه يفسر الكرّ بالتنفيس والكرّ في الحرب معروف · وقوله (نفسي) انما وقعت في بعض روايات البيت هكذا :

(كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كُرّي نفّسي عن رجاليا)

ومعنى (نَفّسي عنهم) بتشديد الفاء خففي كرب الحرب عنهم · أما الرواية الأخرى وهي التي رواها المؤلف فهي (كُرّي قاتلي عن رجاليا) ·

ص ٤١٢ قول المصحح في تفسير (بُؤْ بفلان) اي اذهب به · في قوله هذا تسامح كبير · والأظهر أن يقال : ليكن دمك لدمه بَوَاء · أي مساوياً ومماثلاً ·

ص ٤١٣ سطر ٥ قوله (جسداً لنا) صوابه حسداً لنا ·

ص ٤١٣ سطر ١٤ قوله (والخيل تَلْحَب) يرجع معنى اللحب الى النحول وخفة اللحم · ولا يمكن ان يكون مراداً هنا الا على استكراه · والأصوب ان يكون محرفاً عن (تُلهب) بالهاء · ففي الأساس (فرس مُلْهِب · وقد ألهب في جريه : اضطرم فيه · وله ألهوب) والاضطرام فرط اشتعال النار فاستعير لفرط عدو الفرس بحيث يثير الغبار ·

ص ٤١٣ سطر ١٥ قوله (عليه دِلاّص) بتخفيف اللام لا تشديدها · ويستقيم وزن البيت أيضاً ·

ص ٤١٤ سطر ١٠ قوله (والريح عند أذنه) صوابه والرمح .

ص ٤١٤ سطر ١٣ قوله (شانَ حَرَّ الوجه) صوابه ضم حاء حُرّ لا فتحها .

ص ٤١٥ سطر ٥ قوله (فاجتازوها) صوابه فاحتازوها بالحاء المهملة .

ص ٤١٥ سطر ١٠ قوله (لحلْ عمارة) صوابه لحمل عمارة .

ص ٤١٧ سطر ٦ قوله (ومعنا شيخ من يزيد) صوابه شيخ بن يزيد بدليل ما بعده . وشيخ اسم علم .

ص ٤١٩ سطر ١١ قوله (يقال لأحدهما اللُّعاب) كان الأحرى ان تشدد العين لا اللام بدليل قوله في الشعر الآتي (وطاب عن اللّعّاب نفساً) وتشديد لام التعريف لا حاجة اليه على انه يوهم ان العين مخففة .

ص ٤١٩ سطر ١٧ قوله (وحزّ فيس) صوابه وخَرَّ اي سقط بعد ان أصيب في حلمة ثديه .

ص ٤٢٠ سطر ٣ قوله (فقطع احدي ثديه) صوابه احدى يديه وفي العقد (فقطع أحد زنديه) .

ص ٤٢٠ سطر ٤ قوله (بجفن سيفه) صوابه بجفن سيفه . وجفن السيف غمده .

ص ٤٢٠ سطر ١٠ قوله (وطاب عن اللّعاب نفساً وربّه) في العقد (نفساً وربّه) بجر (الربّ) عطفاً على (اللّعّاب) واللعاب اسم الفرس يعني ان سالماً الذي هرب طابت نفسه عن ذلك الفرس وعن ربّه أي فارسه وصاحبه .

ص ٤٢٤ سطر ١ قوله (وقال ابو عبيدة : انما خَرَصها خُرَيْصِيةً يسيرة) هكذا بالخاء المعجمة وبتصغير (خُرَيْصِية) . ومثله في العقد غير ان (خريصة) فيه غير مصغر . والصواب (حَرَصَها حَرِيصة) بالحاء المهملة فيها وتكبير حريصة : ففي اللسان : (والحرص الشق ... والحارصة والحريصة أول الشجاج وهي التي تحرص الجلد اي تشقه قليلاً) . وقد ذكرت الحارصة في الحديث كما في النهاية .

ص ٤٢٧ سطر ١٦ قول المؤلف (وكانت العرب تسمي قريشاً سخينة لأكلها السُّخْن) في هذا التعليل تسامح كبير وكان الأصوب ان يقول (لأكلها السخينة) ففي اللسان (والسخينة طعام متخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء) الى ان قال (وكانت قريش تكثر من أكلها فعُيِّرت بها حتى سموا سخينة) .

ص ٤٢٧ سطر ١٨ قوله (وعبد منانها) صوابه وعبد منافها .

ص ٤٢٨ سطر ٣ قوله (وأخلافها) صوابه (وأحلافها) بالحاء المهملة .

ص ٤٢٨ سطر ٥ قوله (وعلى احدى مَخْبَيَتَيْنِا صوابه مُجَنِّبَتَيْنا ومُجَنِّبَنا الجيش ميمنته وميسرته .

ص ٤٢٨ سطر ١٧ قوله (منا الذي ترك الهُمام مجندلا) صوابه منجدلا ليستقيم الوزن .

ص ٤٢٩ سطر ٧ قوله (أشباك) وقول المصحح في تفسيره (يقال أشباك لفلان كما يقال حسبك لفلان) لم أجده وانما وجدت في (العقد) اشبال وهو جمع شبل ولعلها الصواب . ويكون أشبال صفة لثلاثة الأخوة المذكورين قبله وهم (هشام) و (ابو عبد مناف) و (ذو الرمحين) وياليت المصحح عزا ما قاله الى مصدره .

ص ٤٣٠ سطر ٤ قوله (لم تغلب ومغلوب) بالغين المعجمة فيهما خطأ وصوابه العين المهملة فيهما . وأراد بالسمراء التي لم تعلب قناة الرمح . ومعنى انها لم تعلب لم تحتج الى ان يشدّ عليها بعلباء البعير وهي عَصَبَة تستعمل من عنقه وينتفع بها في الشدّ والحزم . والمعلوب السيف يحزم مقبضه بالعلباء وهو معطوف على سمراء .

ص ٤٣٠ سطر ٨ قوله (الحارث بن كِلدة) بكسر الكاف وصوابه فتحها واختلفوا في تسكين اللام وفتحها .

ص ٤٣٠ سطر ١٠ قوله (دَعَسْتَ لُبانه بالرمح) صوابه ضم تاء (دعست) لأنه ضمير المتكلم . وفتح لام (لَبانه) وهو صدر الفرس .

ص ٤٣١ سطر ١٤ قوله (المستودِع) بكسر الدال صوابه فتحها لأن النعمان هو المستودِع (بكسر الدال) وهانئ هو المستودَع (بفتحها) .

ص ٤٣٢ سطر ٧ قوله (فانا إن ركبنا الفلاة لمتنا عطشاً) صوابه حذف اللام من جواب الشرط .

ص ٤٣٤ سطر ٤ قوله (مِلنا ببيضٍ لمثل الهام تختطف) صوابه كما في بعض النسخ (فظلّ الهامُ تُختَطَفُ) .

ص ٤٣٤ سطر ١٣ قوله :

(لعلّك يوم الحنو إذ صبّحتهموا كتائب لم تعصك بين العواذل)

صوابه كما في ديوان الأعشى :

(بعينيك يوم الحنو إذ صبّحتهموا كتائب موتٍ لم تعقها العواذل)

ويستقيم الوزن أيضاً .

هذا وفي الكتاب أغلاط كثيرة أخرى ترجع الى سوء تشكيل اللفظ وضبطه لغةً ونحواً رأينا ترك التنبيه اليها لما بلغنا من أن في نية (الدار) الحاق كراسة خاصة يؤتى فيها على ذكر جميع أغلاط هذا الجزء الخامس عشر من نهاية الأرب ولعلهم فاعلون .

المغربي

مختصر (جمهرة النسب)

هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ تقريباً) هو امام علم (النسب) بلا منازع وكتابه « الجمهرة » من خير ما ألف في هذا العلم - لا سيما فيما يتعلق منه بأنساب العدنانيين - ومن هذا الكتاب قطعة في مكتبة (المتحف البريطاني) في لندن ، وقد صورها المجمع العلمي العراقي ، وهي تحتوي على أنساب العدنانيين ، قديمة الخط متقنة الضبط - وصفها الدكتور جواد علي في العدد الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي .

وفي مكتبة (الاسكوريال) في اسبانية قطعة ظن المستشرقان ليفي بروفنسال وليفي دلاّفيدا انها من اصل (الجمهرة) [1] وليس الأمر كذلك فقد اطلعت على نسخة مصورة صورتها (دار الكتب المصرية) عن نسخة في المتحف البريطاني نقلها مستشرق يدعى (بريون) من نسخة مكتبة الاسكوريال ، فرأيت أسلوب هذه النسخة يغاير أسلوب ابن الكلبي في الجمهرة ، ولا يبعد ان تكون من كتبه الاخرى او من مختصرات الجمهرة وهي تحتوي على أنساب بني ربيعة ابن نزار (من العدنانيين) وعلى جميع أنساب القحطانيين وهذه النسخة التي كتبها المستشرق (بريون) رديئة الخط كثيرة التحريف (انظرها في دار الكتب تحت رقم ٩٩٩٥ ج (تاريخ) باسم نسب معد واليمن الكبير - وفي المتحف البريطاني برقم ٢٢٣٧٦ - والأصل في مكتبة الاسكوريال برقم ١٦٩٣ من فهرس الغزيري وهو مخطوط - كما يقول (بريون) سنة ٦١٦ هـ وفي صفحة ٢٩٣ منه حاشية كتبها الشيخ عبد المؤمن الدمياطي (٦١٣ - ٧٠٥ هـ) .

(١) انظر مقدمة جمهرة أنساب العرب لابن حزم التي وضعها بروفنسال (ص ٦ طبعة دار المعارف بمصر) .

اعتنى المتقدمون بكتاب الجمهرة فكان ممن رواه عن مؤلفه ابو جعفر محمد ابن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) ورواه عن ابن حبيب هذا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري (المتوفى سنة ٢٧٥ هـ) ومن المعروف ان هذين الراويين اماما أهل الأدب في عصرهما . وفي القرن السابع الهجري اطلع ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) على هذا الكتاب برواية السكري عن ابن حبيب عن ابن الكلبي بخط صالح بن محمد بن يزداد[1] نقله صالح عن خط السكري فقام ياقوت بنسخه وأكمله في أثناء رحلته الى مصر وهو في موضع يسمى (الزعقة[2]) بين رفح والعريش في سنة ٦١٠ ثم بعد بضع سنوات اختصر هذا الكتاب بكتاب سماه (المقتضب من جمهرة النسب) ونسخة هذا الكتاب ـ اعني المقتضب ـ الفريدة المخطوطة في حياة مؤلفه ـ وقد تكون بقلمه ـ في دار الكتب المصرية .

وفي سنة ٦٤٨ ـ أي بعد وفاة ياقوت ببضع عشرة سنة ـ اطلع أحد العلماء على نسخة من كتاب (الجمهرة) برواية السكري عن ابن حبيب عن المؤلف فاختصرها ثم اطلع على نسخة ياقوت من أصل الجمهرة فقابل مختصره بها ولم يكتف بذلك بل رجع الى أكثر من عشرين كتابا من أمهات كتب اللغة والأدب والتاريخ فنقل منها كثيراً من النقول التي لها صلة بمختصره من تصحيح أو ايضاح ، او استدراك ، ووضع جميع ما نقله في هامش نسخته ، ولم يدمجه في الأصل ـ واطلع على نسخة[3] ثالثة من الجمهرة عند رضي الدين الصاغاني اللغوي المعروف المتوفى سنة (٦٥٠ هـ) فنقل عنها .

(١) لم أعثر لصالح هذا على ترجمة ولكنني رأيت لمحمد بن يزداد الكاتب ولابنه عبد الله ولابنه احمد بن عبد الله (آل يزداد) ذكراً كثيراً في تاريخ الطبري ـ حوادث منتصف القرن الثالث الهجري وفي الفهرست لابن النديم وكلهم كتاب ادباء ذوو صلة بالخلفاء العباسيين .

(٢) لم يذكره في المعجم وقد ذكره صاحب صبح الأعشى (ج ١٤ ص ٣٧٨) .

(٣) ذكر ذلك في صفحة ١٥٦ .

وهذا المختصر - وان كان لا يزال مجهول الأب - الا أنه يمتاز على مختصر ياقوت بمميزات ، ويفضله بكثير من الصفات ، وقد اطلع عليه عالم محقق مدقق هو شرف الدين ابو الحسين علي بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي الحنبلي (٦٢١ — ٧٠١ هـ) فنقله عن خط مؤلفه نقلاً بلغ غاية الدقة والصحة ولم يقف عند هذا الحد بل قابله بنسخة ياقوت التي قابل المختصر بها كتابه وأشار الى اختلاف النسختين ثم لم يكتف بالدقة في النقل وفي المقابلة بل زاد عليهما تحرير مواضع في الكتاب رأى انها بحاجة الى التحرير ونبه على بعض أغلاط وقعت فيه . وقد سلمت هذه النسخة من عَبَث الزمان وعَيْث الحِدْثان حتى وصلت في القرن الحادي عشر الهجري الى خزانة الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ — ١٠٩٣ هـ) مؤلف كتاب (خزانة الأدب) فكتب في طرتها : (هذا كتاب مختصر جمهرة ابن الكلبي ولم أعرف مصنفه وقد أنعم الله به على عبده الفقير اليه في جميع حالاته عبد القادر بن عمر البغدادي ... ثم رأيت في ترجمة بني دارم قد صرح بكنيته وهو ابو جعفر) . كذا قال الشيخ وليس ابو جعفر المؤلف وانما هو محمد بن حبيب الراوي عن ابن الكلبي . وقد نقل البغدادي في الخزانة عن هذا الكتاب في الصفحات (٨٩ ، ١٤٣ ، ٢٣٨ ج ٢ وفي ٢١٤ - ٢٦٨ ج ٣ وفي ١٦٢ - ١٩٨ ج ٤) كما في اقليد الخزانة للأستاذ الميمني . وصرح البغدادي بانه مختصر ياقوت وهو غيره . لأن بعض ما نقل لا يوجد في مختصر ياقوت (المقتضب) . وقد اطلع على هذه النسخة بعد البغدادي أحد الجهال فرأى في آخر الصفحة الأولى منه اسم كتاب (التبيين في نسب القرشيين) لموفق الدين ابن قدامة فظن ان هذا هو اسم الكتاب فكتبه بخط عريض في أعلى الصفحة - وانما ورد اسم (التبيين) في سياق الكتب التي نقل عنها المختصر . وقد وصلت هذه النسخة القيمة من هذا المختصر

الى مكتبة (راغب باشا) في اسطنبول فسجلت في فهرسها برقم (٩٩٩) ثم صورها (معهد المخطوطات) التابع للادارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

وصف النسخة : تقع في جزئين أولها في ١٧٨ صفحة والثاني ١٥٢ ـ في الصفحة ١٩ سطراً تبلغ كلمات بعض السطور ٢٥ كلمة ـ مكتوبة بالخط النسخي الجميل المشكل والعناوين ورموز الكتب التي ينقل منها المؤلف مكتوبة بمداد احمر وقد حليت هوامشها بنقول كثيرة من كتب هذا بيانها من الصفحة الأولى من النسخة (العلامات التي تأتي في حواشي هـذا الكتاب : حو : صحاح الجوهري ، ف : معارف ابن قتيبة ، جم : جمهرة اللغـة ، جمهرة : جمهرة النسب ، شق : الاشتقاق لابن دريد ، عب : كتاب ابي عبيد في النسب ، عق : العقد ، مق : مقاتل الفرسان ، نق : النواقل لابن الكلبي ، ك : الكامل للمبرد ، ع : العجالة في النسب ، فض : مناقضات جرير والفرزدق ، ف : الشريف ابن الجواني ، سير : السيرة ، ق : مغازي الواقدي . مغازي : عبارة عما في الواقدية والعائذية وسيرة ابن اسحاق ، ابن هشام : عبارة عما زاده في السيرة عن غير مصنفها ابن اسحاق ، طب : تاريخ الطبري ، تبيين : كتاب التبيين في نسب القرشيين تأليف شيخ الاسلام موفق الدين ابي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي رضي الله عنه) هذا نص ما جاء في الصفحة الأولى من الكتاب ، وفي الهوامش نقول عن كتب غير هذه مثل كتاب (أسباب النزول) للواحدي ، وكتاب (تذكرة ابن حمدون) أو (التذكرة الحمدونية) لمحمد بن الحسن بن حمدون البغدادي الكاتب المتوفى سنة (٥٦٢هـ) وغيرهما .

أول الكتاب ص ٢ : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه أجمعين ، أخبرنا محمد بن حبيب عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن ابي صالح عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ اذا انتهى

في النسب الى معد بن عدنان أمسك ثم قال : « كذب النسابون » . قال الله جل ثناؤه (وقروناً بين ذلك كثيرا) . قال ابن عباس ولو شاء رسول الله ﷺ ان يعلمه لعلمه . وقال بين معد بن عدنان وبين اسماعيل ثلاثون أبا . وحدث وحدث هشام عن أبيه محمد بن السائب قال ولد ادد بن زيد عدنان ونبتاً ـ ونبت هو الأشعر ابو الأشعريين ـ وعَمْراً دَرَجَ . فولد نبتُ شُقْرَةَ ـ وهم في مُهرة بالشِّحْر ـ وشَقْحَباً وهم في وُحاظة من ذي الكلاع) .

وآخر الجزء الأول ص ١٧٧ : (هؤلاء بنو أباد بن نزار . وفي نسخة ياقوت زيادة متصلة بالفصل وهي في الأصل منفصلة منسوبة الى خط (ص ١٧٨) ابي سعيد السكري الذي نقل الأصل من خطه وهي احمد بن ابي دواد بن حَرِيز بن مالك بن عبد الله ابن عباد بن سَلاّم بن مالك بن عبد هند بن لخم بن مالك بن قنص بن مَنْعَة بن بُرْجان بن الدَّوس بن الديل بن أمية ابن حُذاقَة بن زُهْر بن اياد . وبخطه كتاب المسند حروف لا يلتزق ولا يتصل حرف بحرف واذا انفصلت الكلمة علمت علامة عند منقطعها وهي هذه من كتاب ابن خُرْداذْبه (ثم نقل صورتها [1]) . وبخطه عن ابي سعيد السكري توفي محمد بن حبيب يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس واربعين ومئتين بسر من رأى . توفي يعقوب بن السكيت يوم الأحد في رجب سنة ثلاث وأربعين ومئتين . توفي المازني سنة ثمان واربعين ومئتين . توفي الزيادي سنه تسع واربعين ومئتين . هذا آخر ما علقته من النصف الأول من كتاب الجمهرة في بغداد المحروسة من نسخة بالمستنصرية . مقابلة أكثرها بنسخة ياقوت وكان فراغ هذا في المحرم سنة ثمان وأربعين وست مئة . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه . آخر الجزء الأول من

(١) هذه الزيادات التي لا صلة لها بأصل الكتاب موجودة في نسخة المتحف البريطاني مما يدل على أن أصل النسختين واحد .

كتاب مختصر جمهرة النسب الذي هو عن ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي . نجز يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين وست مئة ببعلبك حرسها الله تعالى) .

وأول الجزء الثاني ص ١٨٠ : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . نسب قحطان فيه خلاف وقد ذكر في كتاب الجمهرة احد الآراء فيه في اواخر انساب حمير وهو رأي من ينسبه الى اسماعيل ... قال ابن الكلبي ولد قحطان بن عابر المرعف) .

وآخر الكتاب ص ٣٣٠ : (هذا آخر ما نقلته من أنساب العرب في الجمهرة والذي جاء فيها : قال يحيى حكاية كلام السكري ابي سعيد الحق ما وجده مخالفاً لرواية محمد بن حبيب عن الكلبي او زائداً عليها والحمد لله . مما تركته لم أنقله الى هذا المختصر للعجلة قال في خلال ذكر بني القين بن جسر : ان من بني سعد بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مالك بن كنانة بن القين قُطْبَة بن زيد وهو ابن الخضراء والخضراء فرسه قال عوانةُ وقَدِمَت بلقَيْنُ على معاوية فقال ما كان قطبة بن الخضراء فيكم ؟ قالوا يا أمير المؤمنين سادنا يوماً الى الليل[1] . قال فأخبروني عن صخر بن ابي عمرو قالوا كان اذا غاب شتمناه واذا حضر اطعناه قال هذا والله هو السؤدد . يعني يهابونه اذا حضر ويحسدونه اذا غاب . كذا في نسخة ياقوت التي نقلت منها هذا الالحاق عند المقابلة بها وما وجدته ذكر في فصل بني القين صخر بن ابي عمرو وانما ذكر فيهم سعد بن ابي عمرو بن صخر بن حذيفة بن غزية وانه كان سيدهم وبيتهم وابنه الحكم بن سعد ذكره حسان في شعره ولم يقل صخر بن ابي عمرو الا في خلال هذا الخبر . كان في آخر نسخة ياقوت التي قابلت بها ماصورته :

(١) كلمة غير واضحة .

كان على الأصل (ص ٣٣١) ما صورته : قال صالح بن محمد بن يزداد - ومن خطه نقل هذا الكتاب أجمع - الى هنا انتهى ما وجدته بخط السكري وكان ما حكاه عن يحيى، بخط نزل في آخر المجلس التاسع وكان قد اندرس فيه مواضع كثيرة واشتبه ذلك وخفي فأثبت ما وجدته بيناً من ذلك . وتم الكتاب المعروف بجمهرة النسب عن ابن الكلبي رواية ابن حبيب عنه رواية السكري عنه بالمنزل المعروف بالزّعقة من طريق ديار مصر في العشرين من ذي الحجة سنة عشر وستمئة وانا متوجه الى مصر ، وكتب ياقوت بن عبد الله مولى عسكر الحموي . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، فرغ من هذا المختصر في الجالدين في أوائل سنة ثمان واربعين وست مئة ببغداد المحروسة والحمد لله وحده والصلاة على محمد وآله . آخر الجزء الثاني من مختصر المختصر من كتاب الجمهرة لابن الكلبي رواية ابي جعفر محمد بن حبيب مولى بني هاشم عنه رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن السكري عنه . نقلت الجزئين من خط المختصر في مدة آخرها يوم الجمعة لست بقين من ذي الحجة سنة خمس وستين وست مئة ... قابلته بأصل المختصر رحمه الله حرفاً بحرف) .

مَن المؤلف ؟

ليس في النسخة ما يشير الى اسم المؤلف ولكن يفهم من تاريخ الفراغ من الاختصار الوارد في صفحتي (٧٨ . — ٣٣١) ومن قول الكاتب : (قابلته بأصل المختصر رحمه الله) ان المؤلف توفي بين سنتي (٦٤٨ — ٦٦٦) ويفهم من تصريحه بانه فرغ من الاختصار في بغداد من نسخة بالمستنصرية انه بغدادي كما يفهم من صلته بالصاغاني وباعتناء اليونيني بنقل كتابه هذا انه ذو مكانة علمية بارزة وتدل حاشية في صفحة (١٠) على أن المختصر قد اختصر تذكرة ابن حمدون ونص في صفحة ٢٦٩ - في الحاشية - على ان له شيخاً يدعى العز فقال (في أخذ شيخنا العز على المعري في تفسيره

لقول المتنبي لسيف الدولة : سمعتك منشداً بيتي زياد نشيداً مثل منشده كريما . قال العزُّ) الخ .

مَن الكاتب ؟ لم ينص الكاتب باسمه في صلب النسخة ولكنه فيما ظهر لي الحافظ شرف الدين ابو الحسين علي بن محمد بن احمد الحنبلي البعلبكي المعروف باليونيني نسبة لقرية من قرى بعلبك المولود سنة ٦٢١ والمتوفى سنة ٧٠١ [١] ، فقد جاء في هامش صفحة ١٨٦ (بلغ مقابلة وتحريراً بأصل ... [٢] الذي بخط يده وهو يدل على الضبط التام والنباهة والمعرفة بهذه الصناعة قدس الله نفسه ورحم رمسه وايانا ... [٢] يوم الدين كتبه علي بن احمد بن محمد ... ابن عيسى بن احمد بن احمد بن محمد بن محمد ... اليونيني في يوم الخميس سابع شهر رمضان المعظم سنة ... وجدت فيه أشياء حررتها ونبهت عليها فان كان المؤلف رحمه الله لم يقابل فمعذور ، وربما يكون الغلط من المستدرك ، جعلنا الله ممن اذا عمل عملاً يكون خالصاً لوجهه الكريم) . وفي هامش صفحة ٣٣٠ (جميع ما عليه من الحواشي نقلته من خط مختصر الأصل أيضاً الا ما هو عن الأمير ابن ماكولا رحمه الله ومن كتاب الاكال للحافظ عبد الغني المقدسي رضي الله عنه . في مدة آخرها يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شهر الله المحرم سنة ست وستين وستمئة) . وفي بعض الحواشي التي يستدرك بها على المؤلف يصرح باسمه كما في حاشية صفحة ١٢٠ حيث ختمها بقوله (قاله علي) .

مميزات هذا المختصر على مختصر ياقوت :

١ — يقع هذا المختصر في ٣٣٠ صفحة . وتقع هوامشه — لو أفردت —

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة والمنهل الصافي (نسخة دار الكتب الخطية) وانظر مادة (ي و ن) من التاج ،

(٢) مكان النقط كلمات غير واضحة .

فيما يقرب من ١٥٠ . ومختصر ياقوت تبلغ صفحات النسخة القديمة الموجودة في دار الكتب في ٢٣٢ صفحة .

٢ — في نسخة مختصر ياقوت (المقتضب) مواضع في آخر الصفحات تغيرت كلماتها فصارت لا تقرأ الا بصعوبة وقد لا تقرأ أبداً لانطماس حروفها . وأما كتابة هذا المختصر فواضحة جميلة ولكاتبه اليونيني لدى علماء الحديث منزلة عالية من ناحية الصحة والضبط في الكتابة وتعتبر نسخته من (صحيح البخاري) من أوثق نسخ ذلك الكتاب (انظر وصفها في مقدمة صحيح البخاري ص ٣ طبعة بولاق سنة ١٣١١) .

٣ — ليس على هامش المقتضب شيء من الحواشي الموجودة على هامش هذا المختصر .

٤ — في هذا المختصر زيادات عن غير ابن الكلبي زادها السكري ففي صفحة ٦٠ (الربائع ـ عن غير كتاب ابن الكلبي) . وفي صفحة ٤٠ (في أصل كتاب ابن الكلبي خلف بن معشر وليس فيه بدر . وبدر من كتاب ابن الأعرابي) . وفي صفحة ٤٧ (قال محمد بن زياد سواءة بن الحرث بن سعد) . وابن زياد هذا هو ابن الأعرابي . وفي صفحة ٥٢ (قال الكلبي قيل لهم الأسبذيون لأنهم كانوا يعبدون فرساً ويقال هي مدينة يقال لها اسبذ كان نزلها فنسب اليها . وقال الهيثم بن عدي انما قيل لهم الاسبذيون اي الجماع وهم من بني زيد بن عبد الله بن دارم) . هكذا ورد النقل عن الهيثم ـ وأستبعد أن ينقل ابن الكلبي عنه فقد روى الجاحظ في (البيان والتبيين) وابن النديم في الفهرست وياقوت في معجم الأدباء (ج ١٩ ص ٣٠٤) ان ابن الكلبي اذا رأى الهيثم ذاب كما يذوب الرصاص . وفي صفحة ١٤٠ (قبائل فهم عن غير ابن الكلبي)

وفي صفحة ٨٢ (وذكر من هنا خارج عن كتاب محمد بن حبيب عن ابن الكلبي فكأنه زيادة زادها السكري عن غيرهما) . وقد يوجد بعض هذه الزيادات في المقتضب كما يوجد كثير منها في نسخة المتحف البريطاني من أصل الجمهرة المصورة في (المجمع العلمي العراقي) .

٥ – قد نقل المختصر فصولاً كاملة من أصل الجمهرة بدون اختصار وصرح بذلك . ففي صفحة ٣ (الى هنا نقل ما في أول كتاب الجمهرة نقل المسطرة وما بعد هذا نقل اختصاراً) وفي صفحة ١٨٢ (الى هنا نقلت من الأزد متوالياً ثم اختصر الآن) . وفي صفحة ٢٠٨ (هذه الفصول الثلاثة لم أحذف منها شيئاً بل هي في الاصل مختصرة كذا) . وفي صفحة ٢١١ (لم أختصر من هذا شيئاً بل هو كذا في الأصل) . وأشار في صفحات أخرى الى عدم الاختصار . وتفيد هذه المواضع التي لم تختصر في تحقيق أصل كتاب الجمهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦ – تعتبر النسخة الأصلية المحفوظة في مكتبة راغب باشا من هذا المختصر أصح المخطوطات العربية وأوثقها وأكثرها دقة وعناية في الضبط بحيث لا يمر بك حرف واحد فيها بدون اشارة الى ضبطه . وكان من أثر كتابة عناوينها ورموز الكتب التي نقل منها المختصر بالمداد الأحمر عدم ظهور ما كتب بذلك المداد في النسخة التي صورها معهد المخطوطات التابع للادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ولذلك فلا بد لمن أراد نشر هذا الكتاب او الاستفادة منه استفادة تامة من الرجوع الى النسخة الأصلية .

وبعد فهل من عالم بحاثة ، يهدي الى الحق ، ويرشد الى اليقين ، في اسم مؤلف هذا المختصر النفيس القيم ؟؟ الى العالمين الفاضلين الدكتورين الجوادين (جواد علي ومصطفى جواد) عضوي مجمعنا العلمي العربي يساق هذا الحديث .

مراجع عن (جمهرة النسب) لابن الكلبي :

١ — مجلة المستشرقين الألمانية :

أ — مقالة المستشرق بيكر عن نسخة الاسكوريال في صفحة ٧٩٦ — ٧٩٩ سنة ١٩٠٢

ب — مقالة المستشرق جولد زيهر عن ابن الكلبي وجمهرته في المجلد ٦٢ صفحة ١١٧

٢ — مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن .

مقالة ليوسف اسباط في صفحة ٥٠٧ من سنة ١٩٢٥

٣ — نشرت جريدة المقطم في عددها الصادر في ـ ١٣ رمضان سنة ١٣٤٣ ـ ٧ ابريل سنة ١٩٢٥ ما هذا نصه « بلغنا اليوم ان القس بولس اسباط صاحب الخزانة العظيمة الشهيرة عثر على مخطوط قديم يحتوي على كتابين أحدهما (جمهرة الأنساب) لأبي محمد هشام بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦ والثاني يدعى (التيجان في أخبار قحطان) لأبي محمد عبد الملك بن هشام وهما من الكتب المفقودة » .

٤ — كتاب (بروكلمان) ج ١ ص ٢١١ — ٢١٢ .

٥ — مقدمة كتاب (الأصنام) بتحقيق أحمد زكي باشا ـ المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية .

٦ — مقدمة (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم بقلم ليفي بروفنسال ـ المطبوع بمطبعة دار المعارف بمصر .

٧ — مقال للدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العربي ـ نشر في العدد الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

الرياض (نجد) حمد الجاسر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التأليف في الملوك

بقلم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله

كان لكثير من الملوك رغبة في العلم لاشراف نفوسهم الملكية على علو قدره وجلالة أمره ، فمنهم من كان يرغب فيه ، ويقرب أهله ويسعى في نشره ، ومنهم من اشتغل به وسعى في تحصيله حتى فاز بحظ وافر منه . ومنهم من زاد على ذلك فألف فيما عُني به من العلوم ، غير ان المؤلفين فيهم قليلون ، لمنع شواغل تدبير المملكة ، والقيام بأعباء أمورها في أكثر الأوقات من التفرغ للتأليف . ومن الملوك الذين ألفوا عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن . وفي كثير من خزائن الكتب شيء من مؤلفاته وأغرب مؤلفاته كتاب [1] عثرنا عليه في هذه المدة ألفه في صنع الاصطرلاب بعد أن زاول عمله مدة وأتقنه . وقد أجاد في هذا الكتاب اجادة وافرة بحيث قرب هذه الصناعة على الراغبين فيها ، ولم يستعمل الابهام الموجب للايهام . فأحببنا ان نورد منه ما ذكره في المقدمة لنقف على أسلوب الكتاب والغرض منه قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والثقة يقول العبد الفقير الى الله تعالى عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول غفر الله له . الحمد لله الذي لا يبلغ أداء حمده الحامدون ، وشكراً له على نعمه فوق ما شكره الشاكرون ، فهو الواحد الذي لا تحيط به الظنون ، جعل النجوم دلائل يهتدي بها المهتدون ، فقال سبحانه : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » . أحمده حمد مقصر ، وأستهديه

(١) هو من أسفار خزانة كتب احمد تيمور باشا في القاهرة . وهذه النسخة كانت ملكاً لذلك الملك الجليل .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الى طريق الصواب وأستنصر ، وصلواته على محمد النبي الكريم الذي أثنى عليه في كتابه العزيز الحكيم فقال مادحاً له : « وانك لعلى خلق عظيم » . وعلى آله المنتخبين صلوة وسلاماً دائمين متلازمين الى يوم الدين ورضي الله عن الصحابة أجمعين .

« وبعد فلما كان الاصطرلاب أشرف آلة وضعت في علم الفلك ، وطريقه أوضح طريق بيّن في هذا الفن سالك ، أحببت ان أجمع في علمه رسالة موضحة قريبة المسالك بطريقة مصححة ، فما زلت أداخل أصحاب هذا الفن ، واستخلب درهم بالبحث المستحسن ، لنعرف من منهم يورد من فنونه ويُبين ، ويصور خلاف غيره ويبرهن ، حتى ايقنت النفس بما مثلوه ، وعرفت نقل الأصل الذي أصلوه ، فتشجعت بأن كررت التعلم والتحرير والتصوير لاشكاله الموضوعة والتقدير ، الى أن حسنتُ ما لم يحسنوا من آلته ، وعرفتُ ما يختار من عمله وصناعته ، ولم يذكروا في علمهم بالتحقيق ، سوى المقنطرات والبروج والكواكب بالتدقيق ، واستكفوا فيما عداها بحسن الروية من غير تقدير .

« فلم أزل أفكر فيما أهملوه حتى وضعت له المقادير تابعاً لما رسمه الأولون من الحساب ، مكتسباً ما أمكنني منه الاكتساب ، فوضعت على غاية ما بلغ الاجتهاد اليه ، ووقع عند التخير الاختيار عليه ، ما يغني الصانع في تيسير المعرفة ، ويكفيه عن كثير من الكتب المصنفة ، وعليه في وضع المقنطرات والكواكب المعول ، والعمدة على وضعها وتحريرها على المصنف الأول ، مع معرفتي بفك حروفها واعدادها ، وابعاد مراكزها وانصاف أقطارها ، ولست بالمدعي في معرفة هذه الصناعة ، ولا ممن يتخذها حرفة وبضاعة ، بل اجتهدتُ فيها والتمست ، واحتذيتُ من ضوء سناها واقتبست ، فألفت هذه الرسالة لتكون للصانع أوضح دلالة ، وسميتها معين الطلاب على عمل الاصطرلاب ، فمن وقف عليها فليتسامح عما فرط ، وليكن أول من لعذر بسط ، فان الحليم اذا رأى حسناً مخفيا

أظهره ، واذا رأى قبيحاً منشوراً ستره . ونسأل الله الهداية في الصلاح ، والبلوغ الى أفضل المقاصد والنجاح ، انه العظيم الحنان ، والكريم المنان .

اعلم ان الاصطرلاب يعمل بحالات ، فمنها ما يكون تاماً وعدد مقنطراته تسعون ، ومنها ما يكون ثنائياً وعدد مقنطراته خمسة واربعون ، ومنها ما يكون ثلثاً وعدد مقنطراته ثلثون ، ومنها ما يكون خمساً وعدد مقنطراته ثمانية عشر ، ومنها ما يكون سدساً وعدد مقنطراته خمسة عشر ، ومنها ما يعمل عشراً لصغره وضيق مداراته ، وعدد مقنطراته عشرة ، فالتام هو الذي يكون درج بروجه ومقنطراته مقسومة على درجة درجة ، والنصف ما كان بروجه ومقنطراته مقسومة على درجتين درجتين ، والثلث ما كان درج بروجه ومقنطراته مقسومة على ثلاثة ثلاثة ، والخمس ما كان درج مقنطراته وبروجه مقسومة على خمسة خمسة ، والسدس ما كان درجه ومقنطراته مقسومة على ستة ستة ، والعشر ما كان درج بروجه ومقنطراته مقسومة على عشرة عشرة .

« وأما الرسوم التي لا يقع فيها اختلاف في جميع الاصطرلابات ، فهي دوائر المدارات ، أعني مدار السرطان والحمل والجدي ، وخط نصف النهار وخط الاستواء ، فان هذه الخطوط كلها في جميع الاصطرلابات لا يقع فيها خلاف البتة ، وانما تختلف دوائر المقنطرات ، وهذا الذي اتصل الى علمنا من أعمال الاصطرلابات واعمال التارجهار ، فانه لا يمتنع ان يكون قد زيد على هذه الأقسام التي ذكرناها ، ولم نطلع عليه ، فليس لنا أن نقطع بأن هذه الأقسام التي ذكرناها هي التي تعمل فقط ، فعلى هذا ما كان صغيراً وقسم على درجة او درجتين او ثلاث تزاحمت خطوط المقنطرات لا سيما عند المركز ، فلأجل ذلك جعل ما صغر منها على عشر عشر ، وأصحها ما كانت مقنطراته مقسومة على درجة درجة ، ليتحقق منها الصحة ، لأن ما كبر منها وكان فتحه ذراعاً بالحديد خلص نصف درجة ، اي تقسم درجته الواحدة بنصفين لسعة ما بينهما وبين

المقنطرة الثانية ، وما كان فتح ذراعين حديد خاص عشر دقائق ، أي تقسم درجته الواحدة بستة أقسام كل قسم منها عشر دقائق ، وما كان منه اربعة أذرع او خمسة بالحديد خاص دقيقة اي تقسم الدرجة الواحدة بستين قسماً ، كل قسم منها دقيقة ، لأن كل ما اتسعت الآلة صح تقسيمها ، ويؤدي الى الصواب لاحاطة النظر ، واحاطة الصانع بالصنعة ، والتمكن من قسمة الدقائق بين الدرجات ، لكبر الآلة فيؤدي ذلك الى الضبط والى الصحة . فقد قيل ان الحاكم من خلفاء المصريين عمل ذوات الحلق ، وهي تسع حلقات الحلقة يدخل فيها الفارس راكباً برمحه ، فيكون وزن الحلقة الواحدة نفسها الفي رطل ، وكانت جوانبها محززة مربعة على زوايا قائمة ، حتى اذا ركب بعضها على بعض كانت كصفيحة واحدة فيرصد بها ، وبها حققوا طول مصر وعرضها ، ثم ان التتر لما طلبوا الرصد صنعوا دائرة بناء طول حلقة سمتها عشرون ذراعاً ، فاستخرجوا ربع دائرة من محيطها ، ثم بنوا جداراً طوله مائة ذراع ، ونصبه مائة ذراع مربع ، ووضعوا عليه ربع دائرة طول قائمها على زوايا قائمة ستون ذراعاً ، وطول القطر الآخر الممتد على الأرض مثل ذلك ، والقوس تسمون درجة كل درجة ذراع قوسية اي قطعة من قوس هذا الربع ، ودرجوه درجاً كدرج القطر من أسفله الى أعلاه ، ليعملوا اشغالهم لأخذ الارتفاع ، وأنفقوا على ذلك أموالاً طائلة .

وقيل ان هلاوون اخذ آلة الحمالين وجعلها على رأسه ليرد عنه الم الحجر ، وحمل حجراً كبيراً فلم يبق احد الا وحمل ، وبهذه الآلة الارتفاعية حصل الارتفاع بدقائقه وربما بثوانيه ، فقوس كل درجة هي ذراع ، فتمكنوا بهذه الآلة ، واستخرجوا بها اعمال الرصد وطوله ، وما أرادوا من باقي الأعمال . وأوردنا هذه الحكاية ليعلم منها فائدة كل ما كبر من الاصطرلابات وزيادتها فائدة في

التحقيق ، ومع ذلك اذا كان الاصطرلاب سعته كما قلنا في فتح ذراعين وما فوقه الى خمسة فلا يمسك باليد وقت أخذ الارتفاع لكبره وعظمه ، بل يرفعه شخص بيديه وآخر يأخذ به الارتفاع ، فان عظم عُلّق على سيبا بقدر ما يتمكن منه الناظر ، وهو معلق بالسيبا ، فعند أخذ الارتفاع يرفع الناظر العضادة ويخفضها ، حتى يصح له أخذ ارتفاعه من الشمس او الكواكب ، وأول ما يبتدئ به الراسم من العمل يخط خطاً بأي قدر شاء ، ثم يقسمه بتسعين قسماً ، أجزاء صحيحة محكمة ، بقدر الجهد والطاقة ، فان صحة العمل موقوفة على قسمة الخط المذكور ، فمتى كان في القسمة خلل لم تصح بها الأعمال ، والخط هو المسطرة المقسومة ، وهذا مثالها (وهنا أورد صورتها) وان كانت هذه المسطرة بخلاف المسطرة السنينية التي ذكرها الفرغاني في كتابه ، فان تلك مقسومة بستين قسماً فاذا أردت عمل هذه المسطرة السنينية التي يقاس منها أعمال الاصطرلاب فانك تبدأ أولاً بعمل مسطرة صحيحة من خشب صلب .

الى أن قال : «فاذا أردت عمل الاصطرلاب كبيراً كان أو صغيراً على أي قدر شئت عمله من الأقدار ، فانما يكون كبره وصغره من حساب هذه المسطرة ، لأنه متى أراد الاصطرلاب كبيراً ، كبر في طول المسطرة ليتباعد ما بعد أقسامها ، ومتى أراد الاصطرلاب صغيراً صغر المسطرة ليتقارب ما بين أقسامها ، لأن فتح نصف قطر دائرة الاصطرلاب ، بقدر الثلث من طول المسطرة المقسومة بتسعين جزءاً ، ويكون قسمة هذه المسطرة اما في مسطرة من خشب صلب كالأبنوس والعاج ، أو ما كان في صلابتها من الخشب والعاج وما شاكله في الصلابة واللون ، والعاج أجود من الأبنوس ، لكونه أسود لا تتبين فيه أجزاء المسطرة ، وان كانت من نحاس كانت أجود من الجميع ، اذ المراد بالصلابة ان لا ينزل شيء من رأسي البيكار في الخشب فيختل العمل ،

فاذا أراد قسمة الصفائح فانه يبدأ أولاً بفتح البيكار بقدر ما يغلب على ظنه انه نصف قطر الصفيحة اه .

وفي آخر الكتاب شهادتان من أهل هذه الصناعة تشهدان له باتقانها والبراعة فيها وهذه صورة الأولى منها : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي قدر مقادير الكواكب ، وأظهر من مكنونات الغيب أسرار العجائب ، وسير النيرين كتهادي الكواعب ، وأجرى المتحيرات كجري القواضب ، وقدر بروجها بين السابق واللاحق والطالع والغارب ، وجعل النجوم السبعة متحيرة بالقواعد والمراتب ، فنسبة الشمس كالسلطان ، والقمر كولي العهد والصاحب ، وزحل كالقهرمان ، والمشتري كالحاكم ، والمريخ كصاحب الجيوش والكتائب ، والزهرة كالخادم والمطرب ، وعطارد كالوزير والكاتب ، فسبحان خالق هذه المحاسن والغرائب ، ووصفها في كتابه المنزل على سيد الأنبياء والشهداء والأباعد والأقارب ، فقال عز وجل : «انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب» ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الكرام وأصحابه الأطايب .

وبعد فأقول وانا أقل عباد الله وأصغرهم ابراهيم بن ممدود الحاسب الملكي المظفري الأشرفي : اني لما شاهدت الاصطرلابين قسمة السدس من عمل مولانا الملك الأشرف عمر بن مولانا ومالك رقنا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي ابن رسول خلد الله ملكهما وطول عمرهما من سنة ٦٨٩ وصحة جميع ما عمله بها من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وانصاف الأقطار والكواكب والحجرة والصفائح ، سبكاً وضرباً ، قسمة ووضعاً ، وصحة قسمة دائرة البروج وصحة العضايد ، وعيار المجموع فيها ، ولم أجد فيها مأخذاً الا ان كان اليسير من جهة الصانع الخراط ومولانا خلد الله ملكه عارف به وباصلاحه ، فشهدت له بالفضيلة ، وبتجويده في صناعة الاصطرلاب ، ووضعت له خطي هذا شاهداً على

صحة ذلك ، وأجزت له أن يعمل ما شاء من ذلك أي من الاصطرلابات ، بما استقربته من اتقانه ومعرفته ، وذكائه وخبرته ، واختياري له في ذلك وامتحاني اياه ، وكذلك في اصطرلابين عملها في سنة ٦٨٩ أحدهما اصغر من الآخر قسمة السدس والأكبر فيهما قسمة الثلث ، أجزته وشهدت له بالصحة في الأربع اصطرلابات المذكورة . وكذلك أجزته في عمله لساعات مستوية يستخرجها بترجهار بعمله علماً وعملاً ، وان يعمل منها ما شاء لوثوقي بعلمه وعمله ، فيما استقربته من أعماله ، في جميع ما ذكرته عنه نفعه الله بما استفاده ونفعنا بما أفدناه . وكتب أقل العبيد المظفري الأشرفي ابراهيم بن محمود الجلاد الموصلي الحاسب في شهور سنة ٦٩٠ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وشرف وعظم . ثم أقول وانا أقل عباد الله ابراهيم الحاسب الملكي المظفري الأشرفي ان مولانا الملك الأشرف بن مولانا السلطان الأعظم الملك المظفر خلد الله ملكهما ، جدد اصطرلاباً قسمة السدس سنة ٦٩١ هجرية صحيحة وتحرير بالغ أعظم مما قبله ، مما استدللت به على زيادة فضائله ، فالله تعالى يزيده من فضله ، وينور باطنه بعلمه بمنه وكرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم .

وأقول أيضاً ان مولانا الملك خلد الله ملكه أوقفني على سموت باصطرلاب قسمة الثلث سنة ٦٩٢ والسموت لعشرات ٧ فاستقربت الكثير منها أعني من السموت التي عملها بالآلات الصحيحة وبالحساب ، فوجدتها في غاية الصحة والتناسب ، مما استدللت بصحة يده ، وجودة ذهنه ، وتمكنه في العمل ، فحكمت بصحة ما يعمله من السموت ، وأجزت له أن يعمل بعد ذلك ما شاء من الاصطرلابات المسمتة ، وكذلك مما يعمله من الساعات الزمانية والمستوية ، وخطي

الفجر والشفق ، بأي اصطرلاب شاء وذلك من جمادى الآخرة سنة ٦٩٢ والحمد لله حق حمده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه كتب ذلك أقل العبيد المظفري الأشرفي ابراهيم الحاسب في التاريخ المذكور .

وهذه صورة الشهادة الثانية منها : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وكذلك يقول العبد الفقير الى الله تعالى حسن بن علي الفهري المظفري اني شاهدت الاصطرلابات التي أتقن احكامها ووضعها ، مولانا ومالكنا ، السيد الأجل العالم الأنبل الملك الأشرف ممهد الدنيا والدين عمر بن مولانا ومالكنا السلطان الأجل السيد الأوحد العالم العادل الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول خلد الله ملكتهما ، فمنها اثنان قسمة السدس عملا في سنة تسعين وستمائة ، واثنان أحدهما قسمة السدس والآخر اكبر منه قسمة الثلث ، عملا في سنة تسع وثمانين وستمائة ، واصطرلابان قسمة السدس ايضاً عملا في سنة احدى وتسعين وستمائة . وشاهدت جميع ما عمل بها من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وانصاف الأقطار والقطرين المتقاطعين على ظهورها ، وامتحنت حروف العضائد المستعملة وقيام الشظايا على العضائد ، ومقابلة ثقوب الشظايا بعضها لبعض ، على موازاة حروف العضائد المستعملة ، واعتبرت كل واحد من ربعي الارتفاع فيها ، وادراجها من الواحد الى التسعين ، ومربعات الظل وأصابعها الاثني عشر ، واقدام الظل ، واعتبرت ارباع الحجرة في جميعها وادراجها الثلاث مائة وستين ، وخط وسط السماء مع وتد الأرض ، وخط المشرق والمغرب ، وانتهاء اطراف كل واحد من هذين القطرين الى محاذاة أرباع الحجرة ، ودوائر المقنطرات ، ودائرتي مداري المنقلبين ، ودائرة مدار أول الحمل ، وأول الميزان ، وخط العصر ، وخط الفجر ، ومغيب الشفق ، والساعات الزمانية ، وفي الاصطرلاب السدامي الصغير المعمول في سنة

تسع وثمانين وستمائة خطوط للساعات المستوية متقاطعة مع خطوط الزمانية ، ثم بعد ايام قريبة شاهدت الاصطرلاب قسمة الثلث المعمول في سنة تسع وثمانين وستمائة ، وقد سمت صفائحه الثلث لست عروض وهي : عرض يج ، وعرض يجو ، وعرض بده ، وعرض بدل ، وعرض ٠٠ ، وعرض كاه ، فوجدت سموتها متقنة العمل صحيحة محققة قسمتها بعشر قسي عشر قسي من قسي السموت ، ووجدت الجميع من الاصطرلابات المذكورة بقسمتها وتاريخها كاملة الجودة والتحقيق والصحة ، وأجزت له صناعة الاصطرلاب ووضعها ، سبكاً وضرباً ورسماً ، لما استقربته من اتقانه ومعرفته ، وذكائه وفطنته ، واختباري لأعماله التي أحكمها ، وامتحاني اياها ، ثم أجزت له أن يعمل ما شاء من الساعات المستوية ، يستخرجها بطرجهار بحكمه علماً وتحقيقاً ، وشاهدت طرجهارين من احكامه وعمله أحدهما فضة ، والثاني نحاس ، فوجدتها في غاية التحقيق فليعمل ما شاء منها ، فقد وثقت بما استقربته منه في جميع ما ذكرته في خطي هذا ، ووثقت بثقوب معرفته وفطنته ، نفعه الله بالعلم والعمل آمين ، وذلك بتاريخ اليوم الثاني من رجب الأصم سنة اثنتين وتسعين وستمائة أحسن الله خاتمتها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اه ٠

وفي الكتاب تساهل في كثير من المواضع في اللغة والاعراب ، وهو مما يغمض عنه في مثل هذه الكتب ، لا سيما ان كان من طبقة الملوك الذين لا يساعدهم الوقت على التنقيح ، والمهم في مثل هذا هو تعليم الصناعة بأي عبارة كانت ٠

مقتطفات من كتاب

الأشباه والنظائر للخالديين

(٢)

— ٧ —

[ص ٣٤ : من شعر جران العود]

وقال جران العَود [1] :

١ كأنني يوم حثّ الحاديان بهم ... مرنّح من سلاف الخمر معلول

٢ يوم ارتحلتُ برحْلي قبل بَرذعتي ... والقلبُ مستَوهِلٌ بالبين مشغولُ

٣ ثم اغترزتُ على كوري لأدفعَه ... إثْر الحُمول الغوادي وهو معقولُ

٤ لم يُبق من كبِدي شيئاً أعيش به ... طولُ الصبابة والبيض العطابيلُ

٥ ممن يجول وشاحاها اذا انصرفت ... ولا تجولُ بساقَيها الخلاخيلُ

٦ يرنو اليها ، ولو كانوا على عَجَل ... بالشِّعبِ من مكة الشِّيبُ المثاكيلُ

أما قوله «ثم اغترزت [2] على كوري» البيت فلا يكون في الطيش والدهش وشغل القلب بالبين مثله لأنه ذكر انه جعل رحله على جمَله قبل بَرذعته [3]

---

(١) اختيار الأصل ضمن الشذرات بآخر د جرير ٢/٢٠١ - ٢٠٢ والقصيدة في د ٣٥ – ٣٨ وفي منتهى الطلب ١/٩٦ أنها « تروى للقحيف الخفاجي وللحكم الخضري » وراجع البيتين الثاني والثالث في الشعراء ٤٥٢ والحماسة ٥٤٢ والثاني فقط في خ ٤/٤٥٠ .

(٢) اغترزت أي وضعت رجلي في الغرز وهو الركاب .

(٣) ما أسخف قول من فسّر بان الشاعر كنى بالبردعة عن الزوجة !

ثم ركبه واثاره وبعثه في السير وهو لا يعلم انه معقول دهشاً لما ناله من فراق من يحب ، والى هذا نظر أبو تمام في قوله[١] :

أظلَّتْه البين حتى انه رجلٌ لو مات من شغله بالبين ما عَلِما

على انّ جران العود أتى بما يمكن ويقوم في العقل وأتى ابو تمام بما لا يكون الا أنه إغراق جيد .

وقوله « يرنو اليها ولو كانوا » البيت [نهاية في معناه ، فهو][٢] قد جمع محاسن كثيرة ، لأنه قد « يرنو اليها ولو كانوا على عَجَل » فجعل العجلان وغير العجلان في النظر اليها بمنزلة واحدة ، ثم قال « بالشُعث من مكة » أي انهم في الحرم ، ومن كان في الحرم كان خاشع القلب غاضّ الطرف ، ثم قال « الشيب » والأشيب قلما يلتفت الى شيء من اللهو من جهات ، أما احداها فلما مضى من عمره ، والأخرى ان الأشيب أتقى من الشباب ، وأخرى ان الأشيب يستحيي من الغزل أكثر مما يستحيي الشباب ، ثم قال « المثاكيل » والثاكل يشتغل بثكله عن النظر الى الحسن والقبيح لا سيما اذا كان أشيب ثاكلا ، فقد يئس من الولد لكبره وعلوّ سنه ، والأوّل في هذا المعنى قيس بن الخطيم في قوله :

ديار التي كادت ، ونحن على منى ، تحُلُّ بنا لولا نجاء الركائبِ

وقد ذكرنا هذا البيت ونظائره في صدر كتابنا هذا ، وبيت جران العَود هذا الذي قدّمنا ذكره أجود من كل ما عُمِل في هذا المعنى وأشدّ إغراقاً[٣] .

(١) د ٢٦٨ . أظلّه أي غشيه وفي ا و م « أطلّه » .

(٢) سقط من ب .

(٣) ا و م « إغرابا » .

— ٨ —

[ص ٦٤]

بعض الأعراب :

١ رُجُحٌ فلسن من اللواتي بالضُّحى … لذيولهنّ على الطريق غبارُ [(١)]
٢ واذا خرجن يعُدن أهلَ مصيبة … كان الخُطا [إسراعُها] [(٢)] الاشبارُ
٣ يأنسن عند بعولهنّ اذا خلَوا … واذا هم خرجوا فهنّ خِفارُ
٤ وكلامهُن كأنمـا مرفوعهُ … بحديثهنّ اذا التقين سِرارُ

من ههنا أخذ ابو تمام قوله [(٣)] :

فالمشي همسٌ والنداءُ اشارةٌ … خوفَ انتقامك والحديث سِرارُ

---

(١) تأمل قول صاحب المثل السائر ٢٩٤ في معرض الكلام عن عكس الظاهر (أي نفي الشيء باثباته وهو من مستظرفات علم البيان) : « ولقد مكثت زماناً أطوف على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد إلا بيتاً لامرئ القيس . . . . ولي أنا في هذا بيت من الشعر وهو :

أدنيّن جلباب الحياء فلن يرى … لذيولهنّ على الطريق غبارُ

وظاهر هذا الكلام ان هؤلاء النساء يمشين هوناً لحيائهنّ فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد انهنّ لا يمشين على الطريق أصلاً أي أنهنّ مخبّآت لا يخرجن من بيوتهن » وحسبنا ان نقول ان الخالديين لم يقرّا ما يسمونه التوارد في مثل هذه الأحوال ، وقد قال صاحب المثل السائر نفسه « والذي عندي في السرقات انه متى أورد الآخر شيئاً من ألفاظ الأول في معنى من المعاني ولو لفظة واحدة فانّ ذلك من أدلّ الدليل على سرقته » . ص ٤٦٨ .

(٢) بياض في م وفي ا « لسراعها » .

(٣) د ١٣٠ والعسكري ٢١/١ والرواية « فالقول همس » الا في المنتحل ٢٧٥ حيث « فالمشي » كما هنا . وقريب منه قول أعشى نهشل د ق ٢٧/١٧ :

ينطقن مخفوض الحديث تهامُساً … فبلغن ما حاولنَ غيرَ تنادي

— ٩ —

[ص ٨٠]

قال ذو الرمة (١) :

١ وليلٍ كجلباب العروس ادَّرَعْتُهُ   بأربعة والشخصُ في العين واحدُ
٢ أحمُّ عِلافيٌّ (٢) وأبيض صارمٌ   وأعْيَسُ مَهْرِيٌّ وأشعبُ (٣) ماجدُ

أخذه البحتري (٤) فقال :

١ يا نديميَّ بالسواجير من ودّ   بن عمرو (٥) وبحتر بن عتودِ
٢ اطلبا ثالثاً سوايَ فاني   رابعُ العيس والدُّجى والبيدِ

وما نعلم أنّ البحتري أخذ لمتقدم معنى أو لمحدث الا زاد فيه أو ساواه بكلام عذب مليح الا هذا المعنى فانه لم يلحقه وقصّر عنه ، ولله درُّ ذي الرمة

---

(١) د ١٢٩ والمرتقى ١٣/٣ : جلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد ، وجاء في العمدة ٤٥/٢ : « زعم الجاحظ انه قول ذي الرمة أراد به سبوغه لا لونه وأكثر الناس على خلاف قوله وأنا أرى أنّ هذا كقول عوف بن عطية ابن الجزع التيمي يصف خيلاً :

وجلّان دعا قناع العرو   سِ تدني على حاجبَيها الخِمارا »

اذن فيرتفع الاشكال اذا قدّرنا ان الأصل « وليل أدرعته كجلباب العروس » أي كما تدّرع العروس الجلباب ، هذا وقد وجدت انّ الجاحظ بيّن في الحيوان ٢٤٦/٣ ان العرب يصفون الليل بالخضرة !

(٢) أ « غدافي » .

(٣) ب « اشعث » وهي الرواية .

(٤) د ٢٠٥/١ وانظر نهج البلاغة ٣٢١/١ وجاء في الصناعتين ١٧٦ ان ابا تمام أخذ المعنى من ذي الرمة فقصّر وقال :

البيد والعيس والليل التمام معا   ثلاثة أبداً يُقرَنّ في قَرَنِ

وبيت البحتري في معناه : اطلبا ثالثا .... الخ أجود من هذا الا انه لم يلحق بيت ذي الرمة » .

(٥) د « ممن » بدل « عمرو » .

فلقد طرّف كلام بيته [الأول] (١) وقد جوّد قسمة الثاني ، وقد ذكر قوم ولم يصحّ عندنا ان البحتري ردّ هذا المعنى في قصيدة أولها (٢) :

١ ما لها اولعت بقطع الودادِ كلّ يوم تروعني بالبعادِ

وان صحّ هذا الشعر للبحتري فانّ معنى ذي الرمة أجود كثيراً ، يقول فيها :

٢ عنى الخفر بي فصيّرني (٣) بَعْـدَكِ عينا على عيارِ (٤) البلادِ

٣ ثاني العيس ثالث الليل والسَّيْـر نديم النجوم تِربَ (٥) السُّهادِ

— ١٠ —

[ص ٩٥ : يمنى وصف الابتسام]

أعرابيّ (٦) :

١ هلاليّةٌ أو من نمير بن عامرٍ بذي السرح منوادي المياه خيامُها

٢ اذا ابْتَسَمَتْ في البيت والبيتُ مُظلِمٌ أضاء دُجى الليل البهيم ابتسامُها

٣ تكشّفُ برقٍ من حُبَيِّ تلألأَت به سمحة (٧) الإيماض غرٌّ غمامُها

قد أكثر الشعراء قديمًا ومحدثًا في ذكر الابتسام وتشبيهه بالبرق ، وأسهبوا أيضًا في صفات الثغور وتشبيهها بالاقحوان والاغريض والبرد واللؤلؤ وغير ذلك ،

---

(١) سقط من أ و ب .

(٢) د ١٨٢/١ والبيت الثالث مع آخر لأبي تمام (لم يثبتا في د) في نهج البلاغة ٣٢١/٦ .

(٣) د « كلفني الخفر لي فصيرني ... » .

(٤) د « عباد » .

(٥) د « ربّ » بدل « ترب » .

(٦) الأولان للنابغة الجعدي في المرتضى ١٩٥/١ والرواية هناك :

« عقيلية أو من هلال بن عامر بذي الرمث .... الخ

(٧) في الأصول « سمحة » وصححت في ب « سحة » .

ونحن نذكر ههنا من ذلك طرفاً وفي غير هذا الموضع أشياء بمشيئة الله وعونه ، فمن أحسن ما قيل في الابتسام وأجوده، وأملحه قول الشاعر [(١)] :

أُحاذِر في الظَّلماء أن تستشفَّني عيونُ الغيارى [(٢)] في وميض المضاحكِ

هذا البيت أجود ما قيل في هذا المعنى ، وما نعرف مثله حسن كلام وجودة معنى واحكام بناء . من ذلك قول مسلم [(٣)] :

تبسَّمْنَ فاستضحكن طامسةَ الدُّجى عن الأُفقِ والظلماء أوجهُها طُحلُ

مثله [أيضاً لحاتم] [(٤)] :

يضيءُ بها البيت الظَّليل خَصاصهُ إذا هي ليلاً حاولت أن تبسَّما

ومثله [(٥)] :

كأنَّ ابتسام البرق بيني وبينَها إذا لاح من بعض الحديث ابتسامُها

وهذان البيتان ، وإن كانا للمتقدمين ، فما يقصر بيت مسلم عنهما ، بل هو أجود لولا استكراه في لفظه ، وأما البيت الثاني الذي قدَّمناه فما لمسلم ولا لغير مسلم ممن أتينا بشعره أو نأتي ، مثلُه ، ولا آخر في هذا المعنى [(٦)] :

يستبرق الأفُقَ الغربيُّ ما ابْتَسَمَت برقَ السيوف سوى [(٧)] أغمادِها القُضُبِ

---

(١) النويري ٦٧/٢ والراغب ١٣٦/٢ .

(٢) ا « العذارى » وفي النويري « العبارى » .

(٣) د ق ١٠/٤٥ والراغب ١٣٦/٢ من غير عزو .

(٤) زيادة في م والبيت لحاتم في د س ٢٠ والعكبري ٢٤٣/١ و غ ٢٠٥/٨ ومختارات ابن الشجري ١١ .

(٥) البيت باختلاف في الرواية للسمهري في اللآلي ١٧٨ والنويري ٦٧/٢ والبصرية ١٧٦ وفي المصدر الأخير نفسه ١٧٣ لأبي العميثل [تصحيف « أبي الديل » كنية السمهري ؟ - انظر غ ٥١/٢١] وقد ثبت في د حاتم الطائي ص ٥٣ عن قواعد الشعر لثعلب وهو من غير عزو في خ ٤٨٣/٣ والراغب ١٣٦/٢ .

(٦) البيت باختلاف في الرواية في اللسان (برق) .

(٧) في الأصول « سرى » والتصحيح عن اللسان .

ومثله لجميل :

١ وتبسم عن لمع البروق منصَّبٍ … أغرّ الذُّرى يُزجي [(١)] صَبيراً [(٢)] منضَّدا

٢ كشمس تجلّت عن فُروج غمامةٍ … وقد وافقت طَلْقًا [(٣)] من النجم أسعدا

والبحتري [(٤)] :

فيرجع الليل مبيضًا اذا ضحكت … عن أبيض خَصِرٍ [(٥)] السمطين وضّاحِ

ومثله لذي الرمّة [(٦)] :

إذا ما اتقين من ثلاثٍ وأربع … تَبَسَّمْنَ ايماضَ الغمامِ المكائلِ

وقال [آخر] [(٧)] :

إذا ما ابتسمنَ حسبت البروقَ … بدَتْ لك في الليلة المُظلمَهْ

قد ذكرنا ههنا طرفًا مما ذكر به الابتسام ، ونحن نأتي بما بقي في مواضع أُخر من كتابنا هذا .

— ١١ —

[ص ١٢٢ : معنى مشي النساء والرجال]

وقال ابن مقبل [(٨)] :

١ يَهزُزْنَ للمشي أعطافًا مُنَعَّمةً … هزَّ الرياح ضُحىً أغصان يَبرِينا

---

(١) اوب « يرجى » م « يدحى » .

(٢) اوم « صبرا » ب « درا » والصبير : السحاب الأبيض .

(٣) اوب « طلعا » وهو تصحيف ، انظر قول ذي الرمة « لها سنّة كالشمس في يوم طَلْقةٍ » اللسان (طلق) .

(٤) د ١/١١٣ والعسكري ١/٢٣٨ والنويري ٢/٦٦ .

(٥) في العسكري : « خضل » لأن قلة الريق تورث تغير الفم .

(٦) د ٥٠٧ .

(٧) زيادة في م .

(٨) في م « آخر » بدل « ابن مقبل » وهو تميم بن أُبيّ بن مقبل والبيتان من قصيدته في الجمهرة ١٦٠ - ١٦٣ مع أن الأول سقط منها هناك وهو موجود في القالي ١/٢٢٩ والشعراء ٢٧٨ واللسان (ذوق) والنويري ٢/١٠٧ .

٢ يمشين مثل⁽¹⁾ النقا مالت جوانبه ينهال⁽²⁾ حيناوينهاه الثرى⁽³⁾ حينا

هذا من جيد ما قيل في المشي وقد ذكرنا قطعة من هذا النوع فيما تقدم ، ونحن نذكر ههنا أشياء أخر لم نذكرها قبل هذا الوقت ، بل نذكر أموراً شتى من أمور مشي النساء والرجال على ضروب مختلفة مثل مشي السكران وغيره ، اذ كان قصدنا ان نعدّد في هذا الكتاب قطعة في كل نوع من انواع الشعر ، فمن أحسن ما نعرف ، وهو أحقّ بالتقديم لجودة ألفاظه ورقة معانيه واحكام بنيته ، أبيات لمسلم بن الوليد يذكر فيها مشي امرأة ، ولا نعرف في هذا المعنى أحسن من هذه الأبيات ، وهي ⁽⁴⁾ :

١ مريضة أثناء التهادي كأنما تخاف على أحشائها أن تقطّعا
٢ تسيب انسياب الأيم أخصره الندى فرفّع⁽⁵⁾ من أعطافه ماترفّعا
٣ تأملتها مغبرّة⁽⁶⁾ وكأنما رأيت بها من سنّة البدر مطلعا
٤ اذا ما ملأت العين منها ملأتها من الدمع حتى تنزف الدمع أجمعا

ولولا انا شرطنا ان لا نقدّم في هذا الكتاب الا أشعار المتقدمين ثم نأتي بعد ذلك بالنظائر للمحدثين والمتقدمين ، لكان سبيلنا ان نجعل هذه الأبيات

---

(١) كذا في ا و ب كما في الجمهرة ، وفي م « ميل » والرواية « هيل » .
(٢) ب و م « ينهاك » .
(٣) كذا في ب وهي الرواية المشهورة (انظر أيضاً العمدة ٢/٢٠٧) وفي م « المرى » أ « المدى » ويمكن أن تكون « الندى » كما في البصرية ١٤٧ وبعدها :
من رمل عرنان أو من رمل أسنمة جعد الثرى بات في الأمطار مدجونا
(٤) لا توجد الأبيات في د مسلم وقد ورد الأولان والأخيران قطعتين متفرقتين غير منسوبتين في الحماسة ٥٦٥ و ٥٦٦ والأولان في الراغب ٢/١٣٩ للسعدي والأربعة نفس رواية النص في البصرية ١٩٥ .
(٥) ا « فيرفع » .
(٦) رواية الحماسة « مفترة » أي على غرة منها وفي البصرية « مفترة » وصححت « مغبرة » .

الامام في هذا المعنى لجودة ألفاظها وصحة معانيها وانها واسطة القلادة في هذا المعنى ؛ والمعاني في صفة المشي كثيرة التصرف ، فمن الشعراء من شبه المشي بتحريك الأغصان ، ومنهم من ذكر ذلك بانسياب الحية ، ومنهم من وصفه بمرور السحاب ، الى أشياء من التشبيهات (١) كثيرة ، ونحن نذكر من كل هذه الصفات والتشبيهات ما يعنّ لنا بحول الله وقوته .

العَرْجيّ (٢) :

يمشي كما حرّكت ريحٌ يمانيةٌ غُصْناً من البان[رطبا](٣) طلَّهُ الرِهَمُ

والى هنا نظر البحتري في قوله (٤) :

تهتز مثل اهتزاز الغصن أنعَمَه (٥) مرور غيث من الوسميّ سَحّاحِ (٦)

وقال ذو الرمّة (٧) :

مشين كما اهتزّت رماحٌ تسفّهت (٨) أعاليَها مرُّ الرياح النواعِمِ

آخر :

تأوّدْنَ لما أن تهادَيْنَ نحونا كما حرّكت ريحُ العشيّاتِ خروعا

(١) او م « التشبهات » .

(٢) بهامش ا « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان سمي العرجي لأنه كان يسكن عَرْج الطائف » والبيت من كلمة له في غ ١/٣٨٨ والرواية هناك « أمشي » (بدل « يمشي ») يصف الشاعر مشيه هو الى الحُور اللاتي بعثن اليه ان ايتِنَا ، وقد عهدنا مثل هذا التصرف عن الخالديّين .

(٣) سقط من ا و ب .

(٤) د ١/١١٣ .

(٥) ب « اينعه » .

(٦) في ا « هتان » مع اثبات « سحاح » بالهامش .

(٧) د ٦١٦ وقد وردت رواية النصّ على انها هي الصحيحة في الكامل ٣١٣ الا ان هناك « النوائم » بدل « النواعم » .

(٨) كذا و « تسفّهت » أيضاً فعل متعد انظر اللسان ١٧/٣٦٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آخر [١] :

يمشين مشي قطا البطاح تأوّدا قبَّ البطون رواجِحَ الأكفال

وأول من شبّه مشي المرأة بمشي السكران امرؤ القيس بقوله [٢] :

وإذ هي تمشي كمشي النَّزِيـفِ يصرعُهُ بالكثيب البُهُرْ

وشبه المنخّل اليشكري بمشي القطاة فقال [٣] :

ودفعتُها فتدافعت مشي القطاة الى الغدير

وقال ابن ميّادة [٤] :

١ إذ الطوالُ صدّون المشيَ في خَطَلٍ قامت تَزِيكُ [٥] قواماً غيرَ ذي أَوَدِ

---

(١) نسب البيت الى « الكميت بن زيد في رواية اليزيدي » في المرزباني ٣٤٨ كذا في غ ١٩/١٥ والحيوان ١١٧/٥ وهو ضمن كلمة لـ« الكميت بن معروف الأسدي » في البصرية ١٤٧ وبعده :

واذا اردن زيارة فكأنما ينقلن ارجلهن من اوحال

[وفي اللباب ٣٧١ من غير عزو :

وكأنهن اذا أردن زيارة بُزل الجمال دلَجن بالأحمال]

والبيت من غير عزو في غ ٢٢٧/٨ والنويري ١١٤/٢ .

(٢) العقد الثمين ق ١٠/١٩ وانظر اللباب ٣٧ والراغب ١٣٩/٣ - وتبعه كثير بقوله ، د ١٩٦/١ :

اذا ما مشت بين البيوت تخزّلت ومالت كما مال النزيفُ المُرَنّحُ

(٣) من الأصمعية ٣٢ وانظر الحماسة ٢٦٤ .

(٤) البيتان له في الحيوان ٥٧٦/٥ .

(٥) كذا في ب « تزيك » من الزوك : مشي الغراب وهو الخطو المتقارب مع تحرك جسد الانسان الماشي تبخترا (انظر اللسان) وهذا المعنى هو مقصود الشاعر ، قارن قول رُوبة : « تزيك جسما في الثياب عبهرا » (مجامع الأراجيز ٢٧/٩) ، وفي ا و م « تزيل » وهو صحيح أيضاً قريب من معنى الزوك بل ربما وقع اللبس بين المادتين (انظر اللسان « زول ») ، أما « تُريك » كما في الحيوان فأراه تصحيفاً يفقد البيت جماله ويفوت على الشاعر غرضه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ تمشي ككُدرية[1] في الجوف واردة[2] تهدي سروب قطا يسرين للثَّمَد[3]

آخر [وهو جران العَود] [4] :

فلما رأين الصبحَ بادرن ضوءه رسيم قطا البطحاء أوهنَّ اقطفُ

آخر [5] :

وكأنهنَّ اذا أردنَ خُطا يقلعن أرجلهنَّ من وَحَلِ

البحتري [6] :

لماشين بذي الأراك تشابهتْ أعطافُ قضبان به وقدود

آخر [7] :

وبيض تَطَلّى بالعبير كأنما يطأن، ولو أعنقن، في جَدَد، وحلا

هذا بيت جيد في هذا المعنى لأنه لم يرض ان يجعلها تمشي في الجَدَد ، وهو السهل المستوي من الأرض ، حتى قال : كأنها تطأ الوحلَ ، وان هي أسرعت في مشيها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) « كمشي كدرية » .

(٢) كذا في ب « في الجوف واردة » وفي أ و م « في الجوّ واردة » كما في معظم نسخ الحيوان وفي نسخة منه « في الجوّ فاردة » لعلّ النساخ خلطوا بين « ... ف » و « وا ... » .

(٣) في الحيوان « يشربن بالثمد » وروايتنا أحسن لأن الشاعر معنيّ بالسير الى الماء لا بالشرب .

(٤) زيادة في ب والبيت له في د .

(٥) البيت من كلمة لصالح بن عبد القدوس في الوحشيات (نسخة الدار رقم ٢٢٩٧ أدب) ١٦٨ وهو لابن عائشة في النويري ٢/١٠٦ والوسوي في الراغب ٢/١٣٩ ، وما أقرب هذا البيت من قول الكميت الذي نقلناه آنفاً :

واذا أردن زيارة فكأنما ينقلن أرجلهن من أوحالِ

(٦) د ١/١٢٧ والراغب ٢/١٣٩ .

(٧) الراغب ٢/١٣٩ ومثله قول معن بن أوس ، د ص ١٩ :

أوانس يركضن المروط كأنها يطأن اذا استوسقن في جَدَد وحلا

آخر :

خرجت تأطّر في الثياب كأنها أيم يسيب على كثيب أهيَل

وصفها [بالتثني والتثنية لا تكون الا] (١) بطيئة المشي ، والتأطّر : التثني ، يقال أطرتُ الغصن أي ثنيته ، قال كثير (٢) :

تأطّرن حتى قلت : لَسْنَ (٣) بوارحاً وذُبّن كاذاب السديف (٤) المسرهد

آخر (٥) :

يزجين بكراً يُنهِج (٦) الريط مشيُها كما مار ثعبان الفضا المتدافعُ

فأما اول من شبه المشي بمشي السكران للتثني والانعطاف فامرؤ القيس في قوله (٧) :

واذ هي تمشي كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البُهُرْ

أخذه مضرس الفقعسي فقال :

تساكر سلمى من سجية مشيها وما سكر سلمى من طلاء ولا خمرْ

وقال الشماخ (٨) :

تخامص عن برد الوشاح اذا مشت تخامص حافي الخيل في الأمعز الوجي

(١) ب « بالتأني في المشية أي تلوّن » .
(٢) د ١/١١٥ ونسبة البيت الى عمر بن ابي ربيعة (د ق ٣٧٠) أكثر واقوى . هذا وجاء في اللسان (أطر) : تأطرت المرأة أي لزمت بيتها . وقال سحيم ، د ب/٤٦ :

تأطّرن حتى قلت لسن بوارحاً ولا لاحقات الحي الا سواريا

(٣) م « ليس » .
(٤) ا و ب « النزيف » .
(٥) من كلمة لمحمد بن عبد الله السلامي في نقد الشعر ٩ .
(٦) كذا في ب وفي ا « يبهج » وفي نقد الشعر « يبهر » .
(٧) أتى عمر بن أبي ربيعة مثله فقال :

تمشي الهُوينا اذا مشت فُضُلاً مشي النزيف المخمور في الصُّعُد

د ص ٢٣٢ .
(٨) د ٧ والشعراء ١٧٨ واللسان (خمص) .

أخذه جرير فقال (١) :

اذا ما مشت لم تبتهر وتأودت كما انآد من خيل وجٍ غير مُنعَلِ

وشبه عبد بني الحسحاس مشي النساء بتدافع السيل فقال (٢) :

تهادي سيل جاء من رأس تلعة اذا ما علا صمداً تفرعَ واديا

اخذه حميد بن ثور فقال :

فجاءت تهادى مشية مرجحنة تهادي سيل قد مضى وتصرما

وقال مسلم في صفة مشي السكران (٣) :

١ دارت عليه فزادت في شمائله لين القضيب ولحظ الشادن الفرد

٢ مشيته لما تمشت في مفاصله (٤) لعب الرياح بغصن البانة الخضد

اخذه خالد الكاتب فقال :

وولى وفعل السكر في حركاته (٥) كفعل نسيم الريح في الغصن الغض

فأما وصف مشية السكران على غير هذا المذهب (٦) فمثل قول الشاعر :

١ استقيني بالكبير ، يا سعدُ ، حتى أحسب الناس كلهم لي عبيدا

٢ وأراني ، اذا مشيتُ ، كأني أعدل الأرض خشية ان تميدا

اخذه الآخر فقال :

وما زلت أشرب حتى اعتمدت على الأرض أعدلها أن تميلا

---

(١) د ٦٢/٢ .

(٢) د ب/١٥ .

(٣) لا يوجد البيتان في د ولعلهما سقطا من القصيدة ٨ .

(٤) أ « تفاصله » .

(٥) أ « لحظاته » .

(٦) يذكر لمسلم ايضاً قوله :

اذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشت به مشي المقيد في الوحل

انظر العمدة ٤٧/٢ (د ق ٣٠/٣) .

ومن جيد ما قيل في هذا المعنى قول الآخر [(١)]

١ سقاني هذيلٌ من شراب كأنه ... دمُ الجوف يستدعي الحليمَ الى الجهلِ
٢ فما زلتُ أُسقَى شربة بعد شربة ... لعمرك حتى رُحتُ منهم العقلِ
٣ خرجتُ أجوبُ الأرضَ أو كُلُ مُتنها ... اذا هي مالت بي فيعدلها رِكْلِي
٤ يقدمني طوراً أمامي قاصداً ... ويركض مشي القهقرى مرةً رِجْلي
٥ ترى عيني الحيطانَ حولي كأنها ... تدور، ولو كلَّمتني قلت: ذو خبلِ [(٢)]
٦ فلا العين تهديني، وبالرِجْل ما بها [(٣)] ... فلأياً بلأيٍ ما بلغت إلى أهلي

آخر :

وذي غَبَد [(٤)] لم يدرِ ما الخمر قبلَها ... سقيناه حتى صار قيداً له السُكرُ

قد ذكرنا شيئاً من ضروب المشي، وانما ذكرنا من كل شيء يسيراً كما شرطنا، ولو أردنا أن نأتي بما قيل في جميع الفنون بأسره لطال ذلك واتسع ولكان في شعر البحتري وحده ما يقع في كتاب مفرد، ولا بدّ بعد هذا أن نذكر منه شيئاً آخر ان شاء الله .

(القاهرة) الدكتور محمد يوسف

---

(١) الأبيات بحذف الرابع واضافة بيتَين آخرين في المرزباني ٢٨٢ لعلي بن أبي كثير مولى بني أسد وقيل بل مولى بني تيم اللات بن ثعلبة، شاعر مكثر صاحب شراب وفتوّة .... استكتبه أبو بجير الأسدي عند تقلده الأهواز للمنصور .....» والثلاثة الأول من ستة بدون عزو في نوادر القالي ٢٢٠ .

(٢) ا و م « سحل » .

(٣) ا و م « وبالرجل تايها » ب « ولا الرجل تايها » والتصحيح عن المرزباني .

(٤) كذا في ب « ذي غبد » بدله في ا « رعه » م « رعبة » وأفضل « ذي رِعدةٍ » .

مقدمة المرزوقي

في شرحه لحماسة أبي تمام

« ... بيّن فيها الفرق بين النثر والنظم ، والكاتب والمُفْلِق ، وبين اختيار أبي تمام شعر غيره واختياره شعر نفسه ، وأسباب ذلك ... »

وقفتُ على مقدمة المرزوقي هذه في شرحه لحماسة أبي تمام ، وهي مقدمة نقدية بارعة قلّ أن نظفر في الخزانة العربية ، في باب النقد ، بمثل دقتها وتحديدها ، ولعلها وحدها هي التي عالجت عمود الشعر ووضعت معاييره . وقد آثرتُ تحقيقها ونشرها واعتمدت النسخ الأربع (1) التالية :

١ — نسخة دار الكتب المصرية

يصف فهرس الدار هذه النسخة (٣٠٦ أدب) فيقول : « بها ترقيع وتقطيع وتلويث وأكل أرضة » وهي في ٢٤٧ ورقة (قياس ٢٨ × ١٩ والمكتوب منها ٢٣,٥ × ١٤) تشمل نصف ديوان الحماسة ، وتنقطع عند أبيات من باب المراثي (الأبيات الدالية . كأني وصيفيا خليليّ ... ديوان الحماسة مطبعة التوفيق ١٣٢٢ هـ جـ ١ ص ٢٦٧) .

---

(١) يشير الأستاذ بروكلمان الى نسخ اخرى كثيرة من شرح ديوان الحماسة موزعة بين برلين ولندن وليدن والآستانة والموصل وطهران . وقد كنتُ ارجو أن يتاح لي الاطلاع عليها جميعاً ، ولكني وجدتني مضطراً أن أقتصر على ما اقتصرتُ عليه .

والمقدمة منها تستغرق عشر صفحات من ظهر الورقة الثالثة والورقات التي تليها حتى بعض وجه الثامنة ، وهي مكتوبة بخطين وورقين مختلفين ، قديم وحديث ، ويبدو أنه كان من فعل الأيام بها أن ضاع بعضها الأول فعمد أحد النساخ أو المتملكين إلى تعويض هذا الذي ضاع فكتب صفحتين ونصف الصفحة بخط وورق يخالفان خط النسخة الأصلية وورقها ، حتى اذا بلغ منقطع النص جرى قلمه ببعض الكلمات (فاذا كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبيَّن ما هو) توثيقاً للصلة بين الجزئين : الجزء الباقي والجزء المفقود المعوَّض ، ثم ترك بقية الصفحة فارغة[1] .

وتحديد تاريخ هذه النسخة عسير ، لأنه ليس في صفحاتها الأولى ولا الأخيرة ما يساعد على ذلك من ذكر تاريخ النسخ مثلاً أو اسم الناسخ أو اسم متملك معروف ، بل انه ليس في صفحاتها الأخيرة ما يدل على انتهاء الجزء ، فاذا كان هنالك مكان للترجيح فان قلم النسخة وورقها يرجحان أنهما كُتبت في زمن لا يرقى الى القرن السابع ولكنه يدور حوله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنسخة بعدُ ، حسنة الخط ، مشكولة ، في حواشيها توضيح بعض الكلمات التي تعسر قراءتها ، باعادة كتابتها ، ولعلّها أن تكون في جزئها الثاني القديم أفضل النسخ وأدناها الى الصواب ، ولكن الذي لا شك فيه أنها أقدمها .

وقد رمزتُ الى هذه النسخة عند التحقيق بالحرف (ا) .

٢ — نسخة جامعة فؤاد الأول

ذكر فهرس خزانة الجامعة هذه النسخة تحت رقم ٢٢٩٦٩ دون أن يصفها بشيء . وهي نسخة فوتوغرافية مأخوذة عن احدى خزائن الآستانة ، في ٢٥١ لوحة ، تتضمن الجزء الأول الذي ينتهي بشرح أبيات مسجاح بن سباع (الأبيات البجية : وأيّ فتى ودعت ... الحماسة مطبعة التوفيق ١٣٢٢ هـ ج ١

(١) انظر هنا ص ٨٢ سطر ٣ .

ص ٢٩٠ دون ذكر لصاحب الأبيات) ، ثم تنقطع النسخة عند أول الجزء الثاني فتذكر الأبيات الثلاثة الأولى فقط من أبيات حراز بن عمرو يرثي زبد الفوارس .

والمقدمة منها تنتهي في اللوحة السادسة ، وعلى النسخة خاتم وقف والدة السلطان عبد الحميد ، غير أنه ليس في صفحاتها كذلك ما يسهل تحديد تاريخها والمرجح أنها كتبت حوالي القرن الثامن .

وهي مكتوبة بخط عادي جميل ومشكولة شكلاً كاملاً لا يخلو أحياناً من خطأ ، وميزتها أنها نسخة متقنة ، وان المقدمة والكتاب ، كليهما ، من خط واحد متسق ، على حين كان جزء كبير من المقدمة في النسخة السابقة مكتوباً بخط حديث . ويبدو أثر ذلك في التصحيحات التي أفدتها منها وبخاصة في القسم الأول من المقدمة .

وقد رمزت الى هذه النسخة عند المعارضة بالحرف (ب) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ – نسخة الأستاذ الشنقيطي (دار الكتب المصرية) (١)

تقتصر هذه النسخة على مقدمة المرزوقي ، وقد جاءت في فهرس الدار ضمن مجموع رقمه (٦٤ ش نحو) وعدد صفحاته ٢٩٢ (قياس ٢٦ × ١٧،٥ والمكتوب منها ١٨،٥ × ١٢) مضمومة الى رسالة « شرح الأبيات المشكلة الاعراب لأبي نصر النحوي » .

ويبدو أن الأستاذ الشنقيطي رحمه الله ، استنسخها من احدى خزائن الآستانة ، ثم ألحقها أو أُلحقت عند التجليد بالكتاب المذكور .

---

(١) أنا مدين بالاطلاع على هذه النسخة إلى الأستاذ الصديق محمد بن تاويت الطنجي ، وفي هذه الاشارة اشادة بفضله .

وهي تبدأ بالصفحة ٢٧٣ من هذا المجموع وتنتهي مع نهايته ، وفي الأسطر الأولى كتب الشنقيطي رحمه الله تعريفه بهذه الرسالة وهو التعريف الذي ساقه أصحاب فهرس الدار .

وفي ختامها أن الكتاب تمّ في الواحد والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة (٦٢٣) وأنه كمل رسم خط هذه النسخة في اليوم السابع عشر من ذي القعدة الذي هو من شهور القرن الرابع عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم .

والمجموع كما ترى من تاريخه حديث ، ولكن ميزته تأتي من هذه النواحي الثلاث : من ناحية الناسخ فقد كان متقناً دقيقاً ، ومن ناحية الأصل إذ يرتد الى أوائل القرن السابع ، ومن ناحية الأستاذ الشنقيطي - وتلك أهم النواحي - فقد راجع النسخة وقرأها وصحح بعض كلماتها .

وقد أشرت الى هذه النسخة عند المقابلة بالحرف (ش) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ - نسخة خزانة طلعت

ذُكرت هذه النسخة في فهرس خزانة طلعت (احدى الخزائن الخاصة في دار الكتب) تحت رقم ٤٩٦٢ وهي مجلد واحد في ٣٤٨ ورقة (قياسها ٢٣,٥ × ١٥,٥ والمكتوب منها ١٤ × ١٠,٥) تستغرق المقدمة منها خمس أوراق (من الورقة الخامسة) يبدأ بعدها الشرح ويستمر في جزئين في خط عادي غير مشكول ، إلا في الأقل ، وبعض الكراريس مختلف خطها عن سائر أخواتها ، وعلى هامش بعض الصفحات تعليقات تكثر وتقل ، وهي بخط أحدث من خط النسخة نفسها ، وقد ذكر ناسخها أنّ فراغه منها كان في شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة (٧٣٣) .

وقد أشرت الى هذه النسخة بالحرف (ط) .

***

وتلخيص النظر في هذه النسخ من حيث قيمتها وتاريخها ينتهي بنا الى أنّ نسخة دار الكتب أقدم هذه النسخ وأقربها الى الضبط لولا أنّ جزءاً من مقدمتها حديث ـ ونسخة جامعة فؤاد الأول متأخرة عنها في الزمن ولكنها تفوقها في الضبط ـ ونسخة الشنقيطي أقرب الأربع الى الضبط لولا حداثة خطّها ولولا أنا لا نعرف ما صحّح الشنقيطي مما كان صحيحاً في الأصل ـ ونسخة خزانة طلعت أكمل النسخ ولكنها أكثرها خطأً رغم الهوامش التي حلّاها بها صاحبها ورغم الاشارات المبثوثة في أطرافها دالّةً على مراجعتها .

*
* *

وقد تحرّيتُ الضبط ما استطعت في نشر هذه المقدمة الطيبة ، ولكني لم أثبت هذه الوجوه الهيّنة اليسيرة من الخلاف التي ترجع الى طبيعة الناسخ وعاداته التي درج عليها من مثل تخفيف الهمزة أو تحقيقها ، واهمال الحروف أو اعجامها ، وتأنيث الضمائر أو تذكيرها حين يكون ذلك جائزاً ؛ وإنما قصدتُ إلى ابراز النص واضحاً نيّراً ، وأرجو أن أكون قد وُفقت . ومن الله العون .

النص

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله رب العالمين (٢) خالق الانسان متميّزاً بما علّمه من التبيين (٣) والبيان، وصلى الله على أفضل من صدع بأمره وزجره داعياً (٤) وناهياً، وعلى الطاهرين من آله وسلم.

وبعد فانك جاذبتني (*) ـ أطال الله بقاءك (٥) في أشمل سعادة وأكمل سلامة ـ لمّا وجدتني (٦) أقصر ما استفضله من وقتي (٧) واستخلصه من وكدي على عمل شرح للاختيار (٨) المنسوب الى ابي تمام حبيب بن أوس الطائي المعروف بكتاب الحماسة ـ أمْرَ الشعر (٩) وفنونه، وما نال (١٠) الشعراء في الجاهلية وما بعدها وفي أوائل أيام الدواوين وأواخرها من الرفعة به إذ كان الله (١١) عزّ وجل قد أقامه للعرب مقام (١٢) الكتب لغيرها من الأمم فهو مُستودَع آدابها ومُستحفَظ أنسابها وديوان حِجاجها (١٣) يوم (١٤) الخصام، ثم سألتني

---

(١) في (ط) وبه نستعين.

(٢) لم تذكر «رب العالمين» في (ش) و(ط) و(ب).

(٣) (ش، ط) التبين.

(٤) في (ا) وداعياً.

(*) النسخ جميعاً على أنها (جاريتني) والوجه في هذا التصحيح للأستاذ محمد احمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة فاروق، يرى في ذلك اتساق الكلمة مع قول المؤلف بعد صفحات (انظر ص ٨٢ سطر ٤) آمناً من المجاذبين والمدافعين.

(٥) في (ا، ب) بقاك، على التسهيل.

(٦) في (ب، ط، ش) رأيتني.

(٧) في (ط) ما استفضله من دقّتي واستخصله من دقي واستحلصه من فكرتي على عمل.

(٨) الاختيار في (ط).

(٩) في (ط) في أمر الشعر وفي (ا) أمر بالشعر.

(١٠) في (ا) نال.

(١١) في (ش) تعالى عزّ وجلّ.

(١٢) في (ط) كالكتب.

(١٣) في (ا) حجابها.

(١٤) في (ب) و(ط) عند.

عن شرائط الاختيار فيه وعما يتميز به النظم عن النثر وما يحمد او يذم من الغلوّ فيه أو القصد ، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها حتى تصير جوانبها محفوظة من الوَهْن وأركانها محروسة من الوَهْيِ (١) اذ كان لا يحكم للشاعر أو (٢) عليه ، بالإساءة أو بالاحسان ، إلا بالفحص عنها وتأمل مآخذه (٣) منها ومدى شأوه فيها وتمييز المصنوع مما يحوكه من (٤) المطبوع والأتي المستسهل من الأبي المستنكر (٥) .. وقضيت (٦) العجب كيف وقع الاجماع من النقاد على أنه لم يتفق (٧) في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ولا في اختيار المقصدات أوفى مما دونه المفضل ونقده ، وقلت إن أبا تمام معروف المذهب فيما يقرضه مألوف المسلك لما ينظمه (٨) نازع في الابداع الى كل غاية ، حامل في الاستعارات كل مشقة ، متوصل الى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتسف وبماذا عثر ، متغلغل الى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنّى تأتى له وقدر ، وهو عادل فيما انتخبه في هذا المجموع عن سلوك معاطف ميدانه ، ومرتض ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشانه ، فقد فليته (٩) فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوب إلا اليسير ومعلوم أن طبع كل امرئ ، اذا ملك زمام الاختيار ، يجذبه الى ما يستلذه ويهواه ويصرفه عما ينفر منه فلا يرضاه .

---

(١) في (ب) الونى . (٢) في (ا) وعليه .

(٣) في (ب ، ش) مأخذه .

(٤) أول الصفحة الثانية من (ش) على اعتبار ان الصفحة الأولى أول المقدمة (البسملة).

(٥) في (ا ، ط) المستكره . (٦) في (ط) وقضيه .

(٧) في (ا) ينفق .

(٨) في (ب ، ش ، ط) هذه الرواية وفي (ا) لما ينظمه نقلا ينظمه . ولعله أراد فيما ينظمه وهي أقرب الى صحة العبارة .

(٩) في هامش (ط) التفسير اللغوي التالي : فليت الشعر اذا تدبرته واستخرجت معانيه وغريبه .

وزعمتَ بعد ذلك أجمع أنك (١) مع طول مجالستك لجهابذة الشعر والعلماء بمعانيه والمبرزين (٢) في انتقاده لم تقف من جهتهم على حدٍّ يؤديك (٣) الى المعرفة بجيده ومتوسطه ورديئه (٤) حتى تجرد الشهادة في شيء منه وتبتَّ الحكم (٥) عليه أو له ، آمناً من المجاذبين والمدافعين ، بل تعتقد أن كثيراً مما يستجيزه زيد يجوز أن لا يطابقه عليه عمرو وانه قد يُستحسن البيتُ ويُثنى عليه ثم يستهجن نظيره في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة (٦) فيعرض عنه اذ كان ذلك موقوفاً (٧) على استحلاء المستحلي واجتواء المجتوي (٨) وأنه كما يرزق الواحد في مجالس الكبار من الاصغاء اليه والاقبال عليه ما (٩) يُحرم صنوه وشبيهه (١٠) مع أنه لا فضيلة لذلك (١١) ولا نقيصة لهذا إلا ما فاز (١٢) به من الجدّ عند الاصطفاء والقَسْم .

وقلتَ أيضاً إني أتمنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب

---

(١) سقطت (أنك) في (ا) .

(٢) برّزت الشيء تبريزاً أي أظهرته وبينته ، وبرّز الرجل أيضاً فاق على أصحابه وكذلك الفرس اذا سبق وامرأة برزة أي جليلة تبرز وتجلس للناس . وقد جاء هذا الشرح في هامش (ط) كثير النقص شديد الاضطراب فأثبته مستفيداً من الصحاح .

(٣) النسخ على تسهيل الهمزة .

(٤) النسخ على تسهيل الهمزة (رديّه) إلا (ش) .

(٥) كذا في (ا ، ط) و تبت لتحكم في (ب ، ش) .

(٦) مطلع الصفحة الثانية في نسخة (ا) على اعتبار الصفحة الأولى أول المقدمة (البسملة).

(٧) « « « (ب) « « « « « «

(٨) في (ط ، ا) احتواء المحتوي بالحاء المهملة .

(٩) في (ط) مما .

(١٠) في (ا) وشبهه وفي (ط) تبدو الكلمة بين بين .

(١١) في (ا) لذاك وفي (ط) في ذاك. (١٢) في (ط) ما كان .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البلغاء والعذر [١] في قلة المترسلين وكثرة المفلقين [٢] والعلة في نباهة [٣] أولئك [٤] وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثر المترسلين لا يُفْلِقون في قرض الشعر، وأكثر الشعراء لا يبرعون في انشاء الكتب حتى خُصّ بالذكر عدد يسير منهم مثل ابراهيم بن العباس الصولي وابي [٥] علي البصير و[٦] العتابي في جمعهم بين الفنين واغترازهم [٧] ركاب الظهرين، هذا ونظام البلاغة يتساوى في أكثره [٨] المنظوم والمنثور [٩].

وأنا إن شاء الله وبه الحول والقوة أورد في كل فصل من هذه الفصول مايحتمله هذا الموضع ويمكن الاكتفاء به اذ [١٠] كان لتقصي [١٠] المقال فيه موضع آخر من غير أن أنصِبَ، لما [١١] نصوره [١٢] النعوتُ، الأمثلة تفاديا [١٣]

(١) سقطت هذه الكلمة (والعذر) في (ط) لأن الأسطر الأخيرة من الصفحة الأولى كتبت بخط حديث، لاهتراء فيها. والصفحة الثانية تبدأ بكلمة (في قلة).

(٢) في هامش (ط) الفِلْق بالكسر الداهية والأمر العجب، تقول منه أفلق الرجل وافتلق وشاعر مُفْلِق قد جاء بالفلق.

(٣) في (ط) والعلق ونباهة وهو تحريف بيّن.

(٤) على التسهيل (اوليك) في (ط) والتسهيل والهمز في (ب) (أولئك).

(٥) في (ا) وأبو، على سقوط كلمة مثل: عدد يسير، منهم ابراهيم وابو علي.

(٦) سقطت الواو في (ط). (٧) الكلمة كلها مهملة في (ط).

وفي المعاجم اغترز الراكب رجله في الغرز (ركاب الرحل) جعلها فيه.

(٨) في (ا) اكثرهم. (٩) في (ط) المنثور والمنظوم.

(١٠) في (ط) إذا كان لتقفى. (١١) في (ط) بما.

(١٢) سقطت الهاء في (ط). وجاء بعدها في أول سطر جديد (والنعوت) بزيادة الواو، ولا شك في أن الواو المزادة هنا في اول السطر هي الهاء الساقطة من آخر السطر السابق مجتلبةً هنا على أنها واو، خطأً.

(١٣) في هامش (ط): تفادى فلان من كذا اذا تحاماه وانزوى عنه (صحاح). وقد جاء هذا الشرح اللغوي مضطرباً في كتابته فصححته بمقابلته على الصحاح.

من الاطالة لأنه (١) اذا وضح السبيل (٢) وقعت الهداية بأيسر دليل ، والله عز وجل (٣) ، الموفق للصواب وهو (٤) حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

اعلم ان مذاهب نقاد الكلام (٥) في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف بأعطافها وارادفها مفترقة ، وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها (٦) وتنازح (٧) أقطار مظانّها ومعالمها . ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة (٨) في المنثور اتسع مجال الطبع فيها ومسرحه ، وتشعب مَرَاد الفكر فيها (٩) و (١٠) مطرحه .

فمن البلغاء من يقول (١١) : نقر الألفاظ وغررها كجواهر العقود ودررها فاذا وُسِم أغفالها (*) بتحسين (١٢) نظومها وحُلّي أعطالها بتركيب (١٣) شذورها فراق مسموعها ومضبوطها وزان مفهومها ومحفوظها وجاء ما حرّر منها (١٤) مصفّى من كدر العي (١٥) والخطل ، مقوماً (١٦) من أود اللحن والخطأ ، سالماً من جنف (١٧) التأليف ، موزوناً بميزان الصواب ، يموج في حواشيه رونق الصفاء لفظاً

(١) في (ط) ولأنه .

(٢) في (ش) السبل وهو لا يساعد على سجع العبارة .

(٣) لم ترد (عز وجل) في (ش) . (٤) أول الصفحة الرابعة في (ش) .

(٥) في (ط) مذاهب النقاد في شرائط .

(٦) في (ا) لتفاوت اقتدارها على اتساعها .

(٧) في (ط) تنازح . (٨) في (ط) هي الأمتعة .

(٩) في (ب ، ط) لها . (١٠) سقطت الواو في (ط) .

(١١) سقطت (من يقول) في (ط) . (١٢) في (ا) بحسن .

(*) مفرده غُفل وهو من القداح والدواب وغيرها ما لا علامة فيه .

(١٣) في (ا) بتركيب بترك وهي زيادة خاطئة .

(١٤) سقطت في (ط) . (١٥) في (ط) التي .

(١٦) في (ط) معوّعاً ، .

(١٧) وردت على صور مختلفة باختلاف النقط في النسخ الأربع .

وتركيباً - قبله الفهم والتذّ به السمع ، واذا ورد على ضدّ هذه الصفة صدىءُ الفهم منه وتأذّى السمع به تأذّي الحواس بما يخالفها .

ومنهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد فتجاوزه (١) والتزم من الزيادة عليه تتميم المقطع وتلطيف المطلع ، وعطف الأواخر على الأوائل ، ودلالة الموارد على المصادر ، وتناسب الفصول والوصول ، وتعادل الأقسام والأوزان ، والكشف (٢) عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار أولى حتى يطابق المعنى اللفظ ويسابق فيه الفهمُ السمعَ . قال ولا غاية وراء هذا .

ومنهم من ترقى الى ما هو أشق وأصعب فلم تقنعه (٣) هذه التكاليف في البلاغة حتى طلب البديع من الترصيع والتسجيع والتطبيق والتجنيس وعكس البناء في النظم ، وتوشيح العبارة بالفاظ مستعارة ، إلى وجوه أخَر (٤) تنطق بها الكتب المؤلفة في البديع فإني لم أذكر هذا القدر إلا دلائل على أمثالها ولكل مما ذكرته وما لم أذكره رسم من النفوذ (٥) والاعتلاء ، بإزائه ما (٦) يضاده ، فيسلم للنكوص والاستفال .

فأكثر (٧) هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ اذ كانت للمعاني (٨) بمنزلة المعارض (٩) للجواري (١٠) فأرادوا أن يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يمجه (١١) ويتلقاه بالاصغاء اليه والاذن (١٢) له فلا يحجبه (١٣) .

---

(١) في (ط) فيجاوزه . (٢) أول الصفحة الخامسة في (ش) .
(٣) في (ش) يقنعه وفي (ط) من غير نقط .
(٤) في (ط) أخر . (٥) في (ط) النفود .
(٦) في (ا) مما (٧) في (ا) وأكثر .
(٨) في (ب ، ط) المعاني . والكلمة مطلع الصفحة الثالثة في (ب) .
(٩) ج معرض : الثوب تجلى فيه الجارية ليلة العرس .
(١٠) في (ا) للحواري . (١١) في (ط) تمجه .
(١٢) في (ش) والاذن (بالشكل) (بمعنى الاستماع) (والإذن بمعنى الاباحة) .
(١٣) في (ا) يحجه .

وقد قال ابو الحسن بن[١] طباطبا[٢] في الشعر : هو ما ان عري من معنى بديع لم[٣] يعر من حسن الديباجة . وما خالف هذا فليس بشعر[٤] .

ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره[٥] إلى أن تكون استفادة[٦] المتأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله[٧] وهم أصحاب المعاني، فطلبوا المعاني[٨] المعجبة[٩] من خواص أماكنها وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة طريفة[١٠]، أو رائقة[١١] بارعة فاضلة[١٢] كاملة، او[١٣] لطيفة شريفة زاهرة فاخرة، وجعلوا رسومها[١٤] أن تكون[١٥] قريبة التشبيه لائقة الاستعارة صادقة الأوصاف لائحة الأوضاح[١٦] خلابة[١٧] في الاستعطاف، عطافة لدى الاستنفار[١٨] مستوفية لحظوظها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض والاطناب والتقصير والجد والهزل والخشونة والليان والإباء والاسماح، من غير تفاوت يظهر في خلال أطنابها ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها، مبتسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف[١٩]

(١) سقطت (بن) في ط .
(٢) في (ط) رحمه الله .
(٣) مطلع الصفحة الثالثة في (ط) .
(٤) في (ب) بالشعر .
(٥) في (ط) صدره .
(٦) في (ط) استبادة .
(٧) في (ا) وفعله .
(٨) سقطت (فطلبوا المعاني) في (ط) والسبب واضح .
(٩) في (ا) المعجبة .
(١٠) في (ب) و (ش) بالظاء المعجمة (ظريفة) .
(١١) في (ا) رائعة .
(١٢) مطلع الصفحة الثالثة في (ا) و(كاملة) مطلع الصفحة السادسة في (ش) .
(١٣) سقطت في (ش ، ب) وجاءت (و) في (ط) .
(١٤) في (ا) وسومها .
(١٥) في (ط) يكون .
(١٦) في (ا) الأوضاع .
(١٧) في (ط) حلابة .
(١٨) في (ط) الاستقار .
(١٩) في(ا) الاشتفاف ولامعنى له هنا .

محتجبة في غموض الصيان لدى الامتهان[١] تعطيك مرادك إن رفقت[٢] بها وتمنعك جانبها[٣] إن عنفت معها .

فهذه مناسب المعاني لطلابها وتلك مناصب الألفاظ لأربابها ، ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب[٤] به[٥] العقول فتعانقا ، وتلابسا[٦] متظاهرين في الاشتراك[٧] وتوافقا ، فهناك يلتقي[٨] ثريا[٩] البلاغة فيمطر روضها وينشر وشيها ، ويتجلى البيان فصيح اللسان نجيح البرهان ، وترى رائدي[١٠] الفهم والطبع متباشرين ، لما من المسموع والمعقول بالمسرح الخصب والمكرع[١١] العذب .

فاذا[١٢] كان النثر ، بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم ، اتسع نطاق الاختيار فيه على ما بيناه بحسب اتساع جوانبها وموادها[١٣] وتكاثر أسبابها وموانيها (*) وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك[١٤] وشاركه ، ثم تفرد عنه وتميز بأن كان حده لفظ موزون مقفى يدل على معنى ، فازدادت[١٥] صفاته التي أحاط الحد بها بما[١٦] انضم من الوزن والتقفية اليها ـ ازدادت الكلف[١٧] في شرائط الاختيار فيه ، لأن للوزن والتقفية أحكاماً تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب ، وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقد[١٨] مثل

---

(١) في (ا) سقطت لدى الامتهان وفي (ط) الدى .
(٢) في (ط) رفت .
(٣) في (ط) خانبها .
(٤) في (ب ، ط) يصوب .
(٥) سقطت (به) من (ط) .
(٦) في (ط) مما تعاوت لابسا .
(٧) في (ب ، ش) الاشتراف وفي (ط) الاعتراف .
(٨) في (ب ، ش) تلتقي .
(٩) في (ا) ثديا .
(١٠) في (ط) وروى رايد .
(١١) في (ا) المشرع .
(١٢) في (ط) واذا .
(١٣) في (ط) وموارده‍ا .
(*) ج مانئة وهي الوسيلة .
(١٤) رأس الصفحة السابعة في (ش) .
(١٥) في (ش) فان زادت .
(١٦) سقطت (بما) في (ط) .
(١٧) في (ط) ازداد التكلف .
(١٨) في (ا) الشعر المنتقد وفي (ط) الشاعر والمستعد .

ما تقتضيه (١) تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح، لئلا يختل لها أصل (٢) من أصولها أو يعتل فرع من فروعها.

واذا (٣) كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبين ما هو (*) عمود الشعر المعروف عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف وقديم نظام القريض من الحديث ولتعرف مواطئ أقدام (٤) المختارين فيما اختاروه، ومراسم أقلام (٥) المزيفين على ما زيفوه، ويُعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأتيّ السمح على الأبيّ (٦) الصعب، فنقول وبالله التوفيق.

انهم كانوا يحاولون شرفَ المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والاصابة في الوصف — ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات — والمقاربةَ في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير (٧) من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار (٨) له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما (٩) للقافية حتى لا منافرة بينهما.

فهذه (١٠) سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار.

فعيار (١١) المعنى ان يُعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب فاذا (١٢)

---

(١) في (ب، ش) يقتضيه وفي (ط) بلا نقط.
(٢) سقطت لها في (ا) وسقطت (لها أصل) في (ط).
(٣) في (ش) فاذا. والكلمة رأس الصفحة الرابعة في (ا).
(*) تنقطع الصفحة الثالثة في منتصفها عند هذه الكلمة في النسخة (ا) ويتصل ما بين الجزئين القديم والحديث من هذه المقدمة بتكرار الجملة (واذا .. ما هو).
(٤) في (ب) إقدام. (٥) في (ط) وهو اسم اقدام.
(٦) سقطت في (ط) الكلمات (السمح على الأبيّ).
(٧) في (ط) متخير.
(٨) سقطت في (ط) الكلمات (منه للمستعار). والمستعار رأس الصفحة الثامنة في (ش). (٩) في (ط) وشدة اقتضائها.
(١٠) (وهو) بدل (فهذه) في (ط). والكلمة رأس الصفحة الرابعة في (ب).
(١١) في (ط) فمعيار. (١٢) في (ط) فان.

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

انعطف عليه جَنْبَتَنا (١) القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه (٢) خرج وافياً وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته (٣) .

وعيار (٤) اللفظ الطبعُ والرواية والاستعمال فما سلم مما يُهجّنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم ، وهذا في مفرداته وجملته (٥) مراعى ، لأن اللفظة تُسْتَكرم بانفرادها فاذا ضامّها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً .

وعيار (٦) الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما وجداه صادقاً في العلوق ، ممازجاً في اللصوق ، يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه ، فذاك سيماء (٧) الاصابة فيه . ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال . فتأمل هذا الكلام فان تفسيره ما ذكرناه .

وعيار (٨) المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير ، فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس ؛ وأحسنه ما أوقع بين شيئين ، اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ، ليبين (٩) وجه التشبيه بينهما (١٠) بلا كلفة إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبّه به وأملكها له لأنه حينئذ يدل على نفسه (١١) ويحميه من الغموض والالتباس . وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة (١٢) مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعارة قريبة .

(١) في (ط) الكلمة محرفة ومنونة (خبساً) .
(٢) رأس الصفحة الرابعة في (ط). (٣) في (ط) ووحشه .
(٤) في (ط) ومعيار .
(٥) في (ط ، ا) وجمله ويبدو أنه الأصح .
(٦) في (ط) ومعيار . (٧) في (ا،ط) على حذف الهمزة .
(٨) في (ط) ومعيار . (٩) في (ط) ليس .
(١٠) لم ترد بينهما في (ا ، ب ، ش) وانما أضفناها من (ط) .
(١١) رأس الصفحة التاسعة في (ش) .
(١٢) في هامش (ط) أقسام الشعر ثلاثة .

وعيار (١) التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير (٢) من لذيذ الوزن الطبع واللسان فما (٣) لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده (٤) ولم يتحبّس اللسان في فصوله ووصوله، بل استمرا (٥) فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال، فذاك يوشك أن تكون (٦) القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالماً لاجزائه وتقارناً (٧) وإلاّ (٨) يكون كما قيل فيه :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسان دعيّ في القريض دخيل (٩)

وكما قال خلف :

وبعض قريض الشعر أولاد علّة يكدّ (١٠) لسان الناطق المتحفظ

وكما قال (١١) رؤبة لابنه عقبة، وقد عرض عليه شيئاً مما قاله، فقال :

قد قلت لو كان له قِران

وإنما قلنا على تخيّر من لذيذ الوزن لأن لذيذه يَطرَب الطبع لايقاعه ويمازجه بصفائه، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه. ولذلك قال حسان رضي الله عنه (١٢) :

تغنّ في كل شعر أنت قائله ان الغناء لهذا الشعر مضمار

(١) في (ط) ومعيار.
(٢) في (ط) تحير وقد مرّ بنا من قبل في نفس النسخة متخير.
(٣) في (ط) مما.
(٤) في (ط) بأبنه وعقده وفي (ا) بأبنه وعقوده.
(٥) في (ط) سقطت الألف. (٦) في (ش، ط) يكون.
(٧) في (ا، ط) تقارباً. (٨) في (ط) وألا وفي (ا) ولا.
(٩) في (ط) بعد (دخيل) هذه الكلمة (احى) (اجني) والبيت مكتوب كما يكتب النثر.
(١٠) في (ش) يَكُدُّ.
(١١) في (ا، ط) وقد قال. والكلمة رأس الصفحة الخامسة من النسخة (ا).
(١٢) زيادة (رضي الله عنه) في (ا) فقط ولم ترد في النسخ الأخرى الثلاث.

وعيار (١) الاستعارة الذهنُ والفطنة، وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبَّه والمشبَّه به ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان (٢) له في الوضع الى المستعار له (٣).

وعيار (٤) مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية طولُ الدربة ودوام المدارسة، فاذا حكما بحسن التباس (٥) بعضها (٦) ببعض، لا جفاء في خلالها ولا نُبُوّ ولا زيادة فيه (٧) ولا قصور، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جُعل (٨) الأخصّ للأخصّ والأخسّ للأخسّ ـ فهو البريء من العيب. وأما (٩) القافية فيجب أن تكون (١٠) كالموعود به (١١) المنتظر، يتشوفه (١٢) المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت (١٣) قلقة في مقرها، مجتلبة لمستغن (١٤) عنها.

فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب. فمن لزمها بحقّها وبنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظَّم والمحسن المقدَّم، ومن لم يجمعها كلها فبقدْر سُهْمَته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان.

وهذا إجماع مأخوذ به ومتّبع نهجه حتى الآن.

واعلم ان لهذه الخصال وسائط وأطرافاً فيها ظهر صدق الواصف (١٥) وغلو الغالي واقتصاد المقتصد (١٦) وقد اقتفرها (١٧) اختيار الناقدين فمنهم من قال

(١) في (ط) ومعيار.
(٢) في (ب، ش) كما كان.
(٣) سقطت في (ط).
(٤) في (ط) ومعيار. والكلمة رأس الصفحة العاشرة في (ش).
(٥) سقطت في (ط).
(٦) في (ا) بعضها.
(٧) لم ترد (فيه) في (ا).
(٨) في (ط) وقد حصل.
(٩) في (ط، ا) فأما.
(١٠) في (ا) يكون وفي (ط) بغير نقط.
(١١) لم ترد (به) في (ش، ب).
(١٢) في (ا) يتشوفها.
(١٣) في (ط) كان.
(١٤) في (ا، ش) بمستغن.
(١٥) رأس الصفحة الخامسة في (ب) و (ط).
(١٦) في (ط) المقصد.
(١٧) في (ط) افتقرها والتاء مهملة. واقتفر الأثر تتبعه.

أحسن الشعر أصدقه . قال : لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق . ومنهم من اختار الغلوّ حتى قيل أحسن الشعر أكذبه لأن قائله (١) اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتدّ فيما يأتيه الى أعلى الرتبة وظهر قوته في (٢) الصياغة وتمهر في الصناعة ، واتسعت مواجله ومخارجه (٣) فتصرّف في الوصف كيف شاء لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق . وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال : أحسن الشعر أقصده (٤) لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط ، فما (٥) استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جلّتها من غير غلوّ في القول ولا إحالة في المعنى ولم يُخرج الموصوف إلى أن لا يؤمَن بشيء (٦) من أوصافه لظهور السرف في آياته وشمول التزيد لأقواله كان بالايثار أولى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتبع هذا الاختلاف ميل بعضهم الى المطبوع وبعضهم الى المصنوع ، والفرق بينهما أن الدواعي اذا قامت في النفوس وحرّكت القرائح أعملت (٧) القلوب واذا (٨) جاشت العقول (٩) بمكنون ودائعها وتظاهرت مكتسبات العلوم وضروراتها نبعت المعاني ودرّت أخلافها وافتقرت خفيّات الخواطر الى جليات (١٠) الألفاظ ، فمتى رفض التكلف والتعمل وخلّي (١١) الطبع ، المهذب (١٢) بالرواية

(١) في (ط) لأن القائل .
(٢) رأس الصفحة ١١ في (ش) .
(٣) في (ش) و (ب) مخارجه ومواجله .
(٤) في (ط) اصدقه .
(٥) في (ب ، ش) فاستوفى .
(٦) في (ب) لشيء .
(٧) في (ا) عملت .
(٨) في (ا ، ط) فاذا .
(٩) في (ط) المفعول .
(١٠) في (ط) حليات .
(١١) (في ب ، ش) حلي .
(١٢) رأس الصفحة السادسة في (ا) .

المُدرَّب في الدراسة ، لاختياره فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه - أدّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر وعفواً بلا جهد وذلك هو الذي يُسمَّى المطبوع • ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف (١) عاد (٢) الطبع مستخدما (٣) مُتَمَلِّكاً وأقبلت الأفكار (٤) تستحمله أثقالها وتردّده في قبول ما يؤديه اليها (٥) مطالبةً له بالاغراب (٦) في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة ، فجاء (٧) مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته ؛ وذلك هو المصنوع • وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم ، من غير قصد منهم اليه ، اليسير النزر ، فلما انتهى قرض الشعر الى المحدثين ورأوا استغراب الناس للبديع على افتتانهم فيه أولعوا (٨) بتورّده إظهاراً للاقتدار وذهاباً الى الاغراب (٩) فمن مفرط ومقتصد ، ومحمود فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحمّل ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلّف •

فمن مال إلى الأول فلأنه أشبه بطرائق الاعراب (١٠) لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال الى الثاني فلدلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة (١١) •

وأما تعجبك من ابي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه واجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده (١٢) فالقول فيه :

(١) في (ط) المتكلف والتعمل . (٢) في (ط) وعاد •
(٣) رأس الصفحة ١٢ في (ش) . (٤) في (ط) الأذكار .
(٥) في (ط) اليه .
(٦) في (ا) بالاعزاب وفي (ط) جاءت الكلمة غير منقوطة .
(٧) في (ط) فجاءه . (٨) في (ط) وأولعوا .
(٩) في (ط) الاعراب . (١٠) في (ش) الاغراب .
(١١) في (ا ، ب) بالغدابة . (١٢) سقطت (في قصده) في (ا) .

ان أبا تمام كان يختار ما يختار (١) لجودته لا غير، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته، والفرق (٢) بين ما يُشتهى وبين ما يستجاد ظاهر بدلالة أن العارف بالبزّ قد يشتهي (لبس ما لا يستجيده ويستجيد ما لا يشتهي (٣)) لبسه وعلى ذلك حال (٤) جميع أعراض الدنيا مع (٥) العقلاء العارفين بها في الاستجادة والاشتهاء. وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المُشتَهَرين منهم دون الأغفال ولا (٦) من الشعر إلى المتردد في الأفواه و(٧)المجيب لكل داع فكان (٨) أمره أقرب، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم (٩) واسلاميهم ومولدهم، فاختطف منها الأرواح دون الاشباح واخترف (١٠) الأثمار دون الأكمام وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه وطرق الاحسان والاستحسان لم تستتر عنه حتى (١١) انك (١٢) تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه فيجبُر نقيصته من عنده ويبدل الكلمة باختها في نقده، وهذا يبين (١٣) لمن رجع إلى دواوينهم (١٤) فقابل ما في اختياره بها.

ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس.

---

(١) في (ا) ما يختارونه. (٢) مطلع الصفحة السادسة في(ط).
(٣) سقط ما بين الفاصلتين في (ط) والعلة ظاهرة.
(٤) سقطت كلمة حال في (ا). (٥) في (ش، ب) من.
(٥) مطلع الصفحة ١٣ في (ش). (٦) رأس الصفحة السادسة في(ب).
(٧) سقطت الواو في (ط، ب). (٨) في (ط، ا) وكان.
(٩) في (ا) مخضرميهم.
(١٠) في (ط) واحترف.
(١١) تكرر بعد كلمة حتى في نسخة (ط) من قوله (ما يوافق) في السطر السابق الى قوله (لم تخف).
(١٢) سقطت (انك) في (ش، ب).
(١٣) في (ط) بيّن. (١٤) في (ط) دواوينهم.

وينكشف هذا أنه قد يميز (١) الشعر من لا (يقوله ويقول الشعر الجيّد من) (٢) لا يعرف (٣) نقده ، على ذلك كان البحتري لأنه فيما حكي عنه كان لا يعجب من الشعر إلاّ بما يوافق (٤) طبعه ومعناه ولفظه .

وحكى الصوليّ أنه سمع المبرّد يقول سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً (٥) قطّ أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحُكي عنه أنه مرّ (٦) بشعر ابن أبي (٧) عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا وشعره أبعد الأشياء (٨) من شعره وهذا واضح .

وأما ما غلب على (٩) ظنك من أن اختيار الشعر موقوف على الشهوات إذ ما كان يختاره (١٠) زيد يجوز أن يزيفه عمرو وان سبيلها سبيل الصور في العيون الى غير ذلك مما ذكرته ، فليس الأمر كذلك ، لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه وميّز البديع الذي لم تقتسمه (١١) المعارض ولم تعتسفه الخواطر ونظر وتبحر ودار في أساليب الأدب فتخير (١٢) وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث والتداول والابتعاث وبان له القليل النائب (١٣) عن الكثير واللحظ الدال على الضمير ودرى تراتيب الكلام وأسرارها كما درى تعاليق المعاني وأسبابها إلى غير ذلك مما يُكمّل الآلة

(١) في (ط) ميّز .
(٢) سقطت هذه الجملة بين القوسين في (ط) . والسبب في سقوطها بيّن .
(٣) في (ط) لم يعرف .
(٤) في (ط) وافق .
(٥) رأس الصفحة السابعة في (ا) .
(٦) سقطت في (ط) .
(٧) سقطت في (ط) .
(٨) رأس الصفحة (١٤) من (ش) .
(٩) في (ا ، ط) في .
(١٠) في (ط) اذا كان ما يختاره .
(١١) في (ا) يقتسمه .
(١٢) في (ا) فتحير بالمهملة .
(١٣) في (ا ، ب) بتسهيل الهمزة (النايب) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويشحذ القريحة تراه لا ينظر إلاّ بعين البصيرة ولا يسمع إلاّ بأذن النَّصفة ولا ينتقد إلا بيد [١] المَعْدلة ، فحكمه الحكم الذي لا يُبَدّل ونقده النقد الذي لا يُغيّر .

واعلم أنه قد [٢] يعرف الجيد من يجهل الرديء ، والواجب أن تعرف المقابح [٣] المتسخّطة كما عرفت المحاسن المرتضاة ، وجماعها ، اذا أجملت ، أنها أضداد ما بيناه من عمد البلاغة وخصال البراعة في النظم والنثر .

وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وحشياً أو غير مستقيم أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير : لا يتتبّع الوحشيّ ولا يعاظل [٤] في الكلام ، أو تكون [٥] فيه زيادة تفسد المعنى أو نقصان ، او لا يكون بين أجزاء البيت التئام ، أو تكون القافية قلقة في مقرها أو معيبة في نفسها ، أو يكون في القسْم أو في [٦] التقابل أو في التفسير فساد أو في المعنى تناقض أو خروج الى ما ليس في العادة والطبع ، أو يكون الوصف غير لائق بالموصوف ، أو [٧] يكون في البيت حشو لا طائل فيه ، الى غير ذلك مما يحصله لك تأملك جمل المحاسن وتفصيلها وتتبعك ما يضادها و[٨] ينافيها وهذا هين قريب .

وانما قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا قضية طبعي ، أو ارجع [٩] الى غيري من له في الدُّربة والعلم بمثله فإنه يحكم

(١) في (١) بعين .
(٢) سقطت في (ب) .
(٣) في (ط) المقابح المتسخط .
(٤) راس الصفحة (١٥) في (ش) .
(٥) في (ط ، ش ، ب) يكون .
(٦) سقطت في (ش) .
(٧) مطلع الصفحة السابعة في (ط) .
(٨) في (١) ما يضادها أو .
(٩) في (ب) أرجعْ بالشكل وفي (ط ، ش) من غير شكل وهو فعل أمر. كما يدل عليه السياق .

يتل حكمي ، وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه الاختيار لأنه لا شيء من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه واقامة (١) البرهان على رداءته فاعلمه .

وأما (٢) تمنيك معرفة السبب (٣) في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين ، والعلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثر المفلقين لا يبرعون في انشاء الكتب وأكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر فإني أقول في كل ذلك ما (٤) يحضر (٥) والله ولي توفيقي وهو حسبي وعليه توكلي .

اعلم ان تأخر الشعراء (٦) عن رتبة البلغاء موجبه تأخر (٧) المنظوم عن رتبة المنثور (٨) عند العرب لأمرين :

أحدهما أن ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ويعدونها أكمل أسباب الرياسة وأفضل آلات الزعامة فاذا وقف أحدهم بين السماطين لحصول تنافر أو تضاغن أو تظالم أو تشاجر فأحسن الاقتضاب عند البداهة وأنجع في الاسهاب وقت الاطالة أو اعتلى في ذروة منبر فتصرف في ضروب من تخشين القول و(٩) تليينه داعياً الى طاعة أو مستصلحاً لرعية أو غير ذلك مما تدعو (١٠) الحاجة اليه (١١) كان ذلك أبلغ عندهم من انفاق مال عظيم وتجهيز (١٢) جيش كبير (١٣) .

---

(١) مطلع الصفحة السابعة في (ب) .
(٢) في (ب) وانما ، وهو تحريف . وكذلك كانت في (ش) ثم صححت .
(٣) في (ط) وأما يمنك السبب .
(٤) مطلع الصفحة (١٦) في (ش) .
(٥) في (ب) بما وكذلك في (ش) . وفي (ط) لما يحضر .
(٦) في (ا) الشعر .
(٧) رأس الصفحة الثامنة في (ا) .
(٨) هذه الجملة مكتوبة بخط حديث في (ا) .
(٩) في (ب ، ش) أو .
(١٠) في (ب ، ش) يدعو .
(١١) سقطت اليه في (ا) .
(١٢) في (ب) وتجمير .
(١٣) في (ا ، ط) كثير .

وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ويعدّه ملوكهم دناءة وقد كان لامرىء القيس في الجاهلية مع أبيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت وحالاً بعد حال ما أخرجه إلى أن أمر [1] بقتله، وقصته مشهورة. فهذا [2] واحد.

والثاني انهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة وتوصلوا به إلى السُوَق [3] كما توصلوا به الى العِلْية وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريم [4] عند تأخر صلته بصفة اللئيم، حتى قيل: الشعر أدنى مروءة [5] السري وأسرى مُرُوّة [5] الدنيّ. فهذا [6] الباب أمره ظاهر.

واذا [7] كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر وجب أن يكون الشاعر أيضاً [8] متخلفاً عن غاية البليغ.

ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الاعجاز من الله تعالى جده والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم، يكشف [9] ذلك أن معجزات [10] الأنبياء عليهم السلام [11] في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت

---

(١) في (ا) بَرّ. (٢) في (ا) وهذا.

(٣) السوقة (بالضم) الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث أو قد يجمع سُوَقاً كصُرَد (القاموس). وفي (التاج) السوقة بالضم خلاف الملك وهم الرعية التي تسوسها الملوك، سموا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم (للواحد والجمع والمذكر والمؤنث) أو قد يجمع سوقاً كصُرَد ومنه قول زهير ...

(٤) مطلع الصفحة (١٧) في (ش).

(٥) في (ش) بالكسر في كلا الموضعين، على أن ما قبلها أفعل التفضيل. وسياق الجملة يبيح الفتح على أن ما قبلها فعل ماض.

(٦) في (ب، ط) وهذا. (٧) ولهذا في (ط).

(٨) سقطت في (ط). (٩) في (ب، ش) فيكشف.

(١٠) في (ب) معجز وكذلك كانت في (ش) ثم أضيفت الألف والتاء بخط غير خط النسخة.

(١١) في (ط) صلوات الله عليهم.

أنهم يولعون به في حينهم ويغلب على طبائعهم وبأشرف ذلك الجنس، على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن (١) السحر والسحرة فصارت (٢) من ذلك الجنس وبأشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام (٣) لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته وهي إحياء الموتى من ذلك الجنس وبأشرفه .

فلما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به (٤) وبأشرفه فتحداهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً (٥) وقد قال الله عز وجل في تنزيه (٦) النبي صلى الله عليه (٧) : «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» وقال أيضاً : «والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد (٨) يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون» .

ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أن يكون النثر أرفع شأناً وأعلى سمكاً وبناء من النظم وأن يكون متزاوله كذلك، اعتباراً بسائر الصناعات ومزاوليها .

وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المفلقين وعز من جمع بين النوعين مبرّزاً فيهما فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى ممتد (٩) الباع واسع النطاق، تدل (١٠) لوائحه على حقائقه وظواهره (١١) على بواطنه اذ (١٢)

(١) في (ا) من .
(٢) هذه الكلمة سقطت في (ط) أو هي متأكلة لأن جملة (وزمنه زمن عيسى عليه السلام) التالية كتبت في الهامش .
(٣) في (ط) بعد ذلك : (لأنها ظهرت عليه وزمن زمن الطب) .
(٤) سقطت به في (ا) . (٥) رأس الصفحة الثامنة في (ط) .
(٦) في (ب) في تنويه .
(٧) زيادة (وسلم) في (ط) . وفي (ب) و (ش) عليه السلام .
(٨) رأس الصفحة (١٨) في (ش) .
(٩) في (ب) متسع . (١٠) في (ط) يدل وفي (ا) يدل .
(١١) في (ط) وظواهر . (١٢) في (ط) إذا .

كان مورده على أسماع مفترقة من خاصي وعامي وأفهام مختلفة (١) من ذكي وغبي فمتى كان متسهِّلاً متساوقاً ومتسلسلاً متجاوباً تساوت (٢) الآذان في تلقيه والأفهام في درايته والألسن في روايته ، فيُسْمع شارده اذا استُدعي ويُتعجَّل وافده (٣) اذا استُدني ، وإن تطاول أنفاس وصوله وتباعد أطراف حزونه وسهوله .

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك (٤) لأنه بُني على أوزان مقدرة (٥) وحدود مقسمة وقوافٍ يساق ما قبلها اليها مُهيّأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره إلاّ أن يكون (٦) مُضمّناً بأخيه وهو عيب فيه .

فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار (٧) عروضه وضربه وكلاهما قليل وكان (٨) الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى وأن يبلغ (٩) الشاعر في تلطيفه (١٠) والأخذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه ـ حداً يصير المدرك له (١١) والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغتنمها والظافر بدفينة استخرجها وفي مثل ذلك يحسن انمحاء الأثر وتباطؤ المطلوب على المنتظر فكل ما يُعْتمد في الترسل ويختار يذَمّ في الشعر ويرفض .

(١) رأس الصفحة التاسعة في (ا) .
(٢) رأس الصفحة الثامنة في (ب) .
(٣) في (ا) واقده .
(٤) في (ط) من ذلك ، وفي (ش) من جميع ذلك .
(٥) في (ا) مقددة .
(٦) في (ا) إلاّ ما يكون ، وكذلك في (ب) .
(٧) في (ا) إلاّ بمقدار .
(٨) في (ش) فكان ، وكذلك في (ب) .
(٩) في (ط) تبلغ وفي (ش) يبالغ .
(١٠) معالم الصفحة (١٩) في (ش) .
(١١) سقطت في (ط) .

فلما اختلف المبنيّان كما بيَّنّا (١) وكان المتولي لكل واحد منهما يختار أبعد الغايات لنفسه فيه اختلفت (٢) فيها (٣) الاصابتان لتباين طرفيها وتفاوت (٤) قطريها فبَعُد (٥) على القرائح الجمع بينهما .

يكشف ذلك أن الرجز وان خالف القصيد مخالفة قريبة (٦) ترجع (٧) إلى تقطيع شأو اللفظ فيه وتزاحم (٨) السجع عليه قلّ عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الاحاطة بهما .

فاذا كان الرجز والقصيد، مع أنهما من واد واحد، أفضت الحال بمتعاطيها الى ما قلتُ على خلافٍ يسير بينهما، فالنثر والنظم ـ وهما في طرفين ضدين وعلى حالتين متباينتين ـ أولى وأخص (٩) .

وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة أولئك وخمول هؤلاء فهو أن المترسّل محتاج إلى مراعاة أمور كثيرة إن (١٠) أهملها أو أهمل شيئاً منها رجعت النقيصة اليه وتوجهت اللائمة عليه (١١) .

منها تبيّن (١٢) مقادير من يكتب عنه واليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع رفيعاً .

---

(١) في (ا) خطأ في الشكل : المَبْنِيّان كما بيّنا .

(٢) في (ط) اختلف .

(٣) سقطت في (ا) .

(٤) في (ب ، ش) تقارب ، وهو تحريف .

(٥) في (ب ، ش) وبعد .

(٦) في (ط) قوية .

(٧) في (ا ، ط) يرجع .

(٨) في (ب) بتزاحم .

(٩) في (ا ، ط) وأحق .

(١٠) في (ب) وان وفي (ش) وإنّ وهو خطأ . وقد ذكر الناسخ بعد ذلك (أملها) ثم صححها (أهملها) .

(١١) سقطت في (ا) .

(١٢) كذا في (ا ، ط) وفي (ب ، ش) يبين .

ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقة بمن يخاطب بها مفخمة لحضرة سلطانه [١] التي يصدر عنها .

ومنها أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثان فيتصرف معها على مقاديرها [٢] في النقض والابرام والبسط والانقباض .

ومنها أن يعلم أوقات الاسهاب والتطويل ، والايجاز والتخفيف ، فقد يتفق ما يحتاج فيه [٣] إلى الاكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ، ويتفق أيضاً ما تغني فيه الاشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة .

ومنها [٤] أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به [٥] على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة ولا يعدل ، فيما يخطّ ، عن المحجة فهو انما [٦] يترسل في عهود الولاة والقضاة وتأكيد البيعة والأيمان وعمارة [٧] البلدان واصلاح فساد وتحريض على جهاد وسدّ ثغور ورتق فتوق واحتجاج على فئة أو مجادلة لملة أو دعاء إلى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ماشاكل ذلك من جلائل الخطوب وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها الى أدوات كثيرة ومعرفة مفتنة .

---

(١) كذا في النسخ الثلاث وفي (ا) سلطانها .
(٢) مطلع الصفحة التاسعة في (ط) .
(٣) سقطت فيه في (ا) .
(٤) رأس الصفحة (٢٠) في (ش) .
(٥) سقطت في (ا ، ش) .
(٦) في (ط) وإنما .
(٧) رأس الصفحة (١٠) في (ا) .

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المصطلمين بجوده النثر أعز وعددهم أنزر، وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رئاستها، فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومعاقد رئاستهم وشدة الفاقة الى كفايتهم .

والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون (١) نحوها وغاياتهم التي ينزعون اليها وصف الديار والآثار والحنين الى المعاهد والأوطان والتشبيب (٢) بالنساء والتلطيف في الاجتداء (٣) والتفنن (٤) في المديح (٥) والهجاء، والمبالغة في التشبيه والأوصاف، فاذا (٦) كان كذلك لم يتدانوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار .

واذ قد أتينا بما أردنا ووفينا بما وعدنا فإنا نشتغل بما هو القصد من شرح الاختيار والله الموفق للصواب والصلاة والسلام على رسوله (٧) وآله الأخيار .

الدكتور شكري فيصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) في (ط) يشددون .
(٢) رأس الصفحة (٩) في (ب)
(٢) في (ط) والتشب .
(٣) في (ط) في الاحتداء .
(٤) في (ط) والسمين .
(٥) في (ط) في المدح .
(٦) في (ب ، ش ، ط) واذا
(٧) زيادة (محمد) في (ش)

التعريف والنقد

آراء وأحاديث في القومية العربية

وآراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع

ومحاضرات في نشوء الفكرة القومية

هذه رسائل ثلاث ، ألفها الأستاذ ابو خلدون ساطع الحصري . تقع الرسالة الأولى في مئة وعشر صفحات . والثانية في مئتين وست وعشرين صفحة . والثالثة في مئتين وأربعين صفحة .

بسط الأستاذ ابو خلدون في رسالته الأولى أو في الكتيّب الأول آراءه في القومية العربية ، ثم علّق على ذلك بمناقشات وتوضيحات ، ذكر فيها : « أسباب انفصال الولايات المتحدة الأميركية عن انكلترة ، حجة اختلاف المصالح الاقتصادية بين البلاد العربية ، ما الفائدة من أن أكون عربياً ، مواقف المصريين من قضية العروبة ، بين النزعة الفرعونية وبين القومية العربية » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويبحث في الكتيّب الثاني ـ وهو في أكثره مجموعة مقالات ـ هذه الموضوعات : « بين القديم والجديد ، تعليم التاريخ والعلاقات الدولية ، تأثير الحملة الفرنسية في النهضة المصرية ، النهضة الأدبية في لبنان ، مسألة تاريخية ، العرب في مقدمة ابن خلدون ، هل الشقاق طبع في العرب ، وتعليقات على ذلك ، قصة سامراء ، الضلال والتضليل في الأبحاث التاريخية ، الغرور والخيلاء في كتابه التاريخ ، و.. و.. » .

والكتيّب الثالث ست محاضرات ، ألقاها صاحبها « في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة ، بدعوة من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول » في مطلع

سنة ١٩٤٨ . عالج فيها نشوء الفكرة القومية في أوربة ، وما نجم عنها من انقلابات ، ونشوء هذه الفكرة في المانية ، وتصادم النظريتين الفرنسية والالمانية في تعريفها وتحديدها ، ونشوئها في بلاد البلقان ، ثم عند الترك ، الى أن يصل الى موضوعه : وهو نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية .

والأستاذ الحصري من القليلين المؤمنين بالقضية العربية ايمانا عمليا ، مبنيا على العلم ، وعلى وقائع التاريخ ، يستشهد لآرائه وأحاديثه بما وقع من حوادث في الشرق والغرب عند مختلف الأمم والشعوب ، كل ذلك بعبارة سهلة رصينة ، وحجج قاطعة ، بعيدة عن الاستعلاء بالبحث ، والتهكم بالخصوم والمناظرين .

قدم ابو خلدون لما كتبه ، بكلمة قال فيها : « ما أسعد الأمم التي حققت وحدتها القومية ، واستكملت شخصيتها السياسية ، فاستطاعت ان تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية !

ذلك لأن مفهوم الوطن عند أمثال هذه الأمم يكون واضح المعالم ومستقر الشكل : الأمة تكوّن دولة مستقلة موحدة ؛ فتتعين حدود الوطن عندها بحدود الدولة القائمة ، التي تجمع شمل الأمة بأجمعها تحت راية واحدة .

ولكن .. ما أتعس الأمم التي ظلت بعيدة عن تحقيق وحدتها القومية ، واستكمال شخصيتها السياسية ، فلم تستطع ان تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية ! » .

ثم يأخذ الأستاذ الحصري على « الجامعة العربية » تقصيرها في العمل على تقوية « القومية العربية » .

ويختتم مقدمته بدعوة : « جميع المؤمنين بالقومية العربية الى مضاعفة الجهود في خدمة الشعوب العربية ... لأنها أصبحت في حاجة الى الخدمات الجدية أكثر من أي وقت مضى .. »

ويستهل المؤلف كلامه بعد المقدمة بـ « كلمة حول كارثة فلسطين » فيقول :
سمعت بعض الشبان يتساءلون : ـ كيف خسر العرب معركة فلسطين ضد اسرائيل ، مع أنهم كانوا سبع دول ؟

فيجيب الأستاذ الحصري :

إن العرب خسروا معركة فلسطين لأنهم كانوا سبع دول » وهي كلمة حق.

وفي هذه الكتيبات بعض أغلاط لغوية ونحوية ، لا بد ان تصحح في طبعات قادمة نرجوها لها في مستقبل الأيام .

وبعد فانا نشكر لأبي خلدون هذه الدراسات القيمة ، يمليها عليه اخلاصه لقومه العرب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوجيز في الحقوق الادارية

تأليف الدكتور مصطفى البارودي

هذا الكتاب : « محاضرات ألقيت على طلاب السنة الثانية في كلية الحقوق بدمشق خلال العام الدراسي ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ » وهو يقع في ما يزيد على ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، طبعته مطبعة الجامعة السورية طبعاً متقناً على ورق صقيل .

مهد المؤلف لموضوعه بمقدمة تناول فيها :

١ ـ القواعد الحقوقية في الجماعة .

٢ ـ تقسيم الحقوق .

٣ ـ تعريف الحقوق الادارية وصفاتها العامة .

٤ – مصادر الحقوق الادارية ، والطابع المميز لها في سورية .

٥ – مراجع الحقوق الادارية .

وقد وفّق الدكتور في مقدمته ، فوفّى بحوثه حقها ، وسلسلها تسلسلاً مترابطاً واضحاً ، ووصف وضع سورية من وجهتيه : الادارية والسياسية ، في عهد الانتداب الفرنسي ، وأثبت بطلان تصرفات الدولة المنتدبة من الناحية القانونية .

والكتاب أبواب ، والباب فصول . بحث فيها المؤلف السلطات الثلاث ، والصالح العام ، واحداث المصالح العامة لسداد الحاجات العامة ، والأشخاص الادارية ، والتقسيمات الادارية أيام الانتداب ، وفي عهد الاستقلال ، والموظفين العاملين : تعيينهم وترفيعهم ، وانهاء خدمتهم ، وتسريحهم ، ومحاكمتهم ، وعزلهم ، وطردهم ، واستقالتهم ، وتبعاتهم ، والمستخدمين العاميين ، والنشاط الاداري ، والعقود ، والاستملاك ، والمصادرة ، والاشغال العامة ، والتبعة الادارية ، والقضاء الاداري : مجلس الشورى والمحكمة العليا .

وهذه الموضوعات عززها الأستاذ المؤلف بالنصوص التي أقرتها ، من قوانين ومراسيم وقرارات ، فجاء الكتاب وافياً جامعاً .

وكان جميلاً بالمؤلف على ما فيه من نزعة قومية ، ان يذكر بعض ما يتصل بموضوعه مما عرفه العرب فجروا عليه في ادارتهم ، ولا سيما تبعة العامل ، فلقد بلغوا من ذلك ما لم تبلغه أرقى القوانين المعاصرة .

ولسنا نوافق الدكتور في القول الذي أخذ به من أن : « الحقوق المدنية قديمة عريقة القدم في تاريخ البشرية . احتاج اليها الناس منذ فجر حياتهم الاجتماعية .. في حين ان الحقوق الادارية حقوق جديدة ... » نقول :

«ان الحقوق كلها الادارية كالمدنية ، احتاج اليهـا الناس منذ فجر حياتهم الاجتماعية ، نشأت منذ عرف الناس الاجتماع - أولية فطرية ، ثم جعلت ترتقي شيئاً فشيئاً ، فليس من جديد فيها الا التدوين والتوسع على قدر ما اقتضته سنة الارتقاء والعمران وتقدم الأزمان .

ويقول المؤلف : «ان المدرسة الحديثة ترى ان الانسان يسير سيراً طبيعياً الى «المجموعة العالمية» بعد ان قطع صلة الحقوق بالسماء ليربطها بالأرض ...» الى ان يقول : «وبهذا يخرج أنصار المدرسة الجديدة على ما تعارفنا عليه في شرقنا الروحي الذي يأنف من الشكل المادي الذي صارت اليه روح العالم الغربي . فالشرق ما يزال يؤمن بقواعد انسانية ثابتة على مر الزمن لا تحور ولا تزول وهي القواعد التي رضيها الله للناس فأنزلها على أنبيائه ..» وان : «دولتنا السوريه الناشئة .. قد قامت منذ ثلاثين عاماً على أسس متنازعة فيما بينهـا ، فترى القائم على التشريع فيها يخالف الدين تارة ، ويرجع اليه أخرى . فهو يزعم حيناً ان ليس في القواعد الحقوقية ما يحمل صفة الديمومة والثبات فيغير في طرفة عين ما قبله الناس في مئات من السنين ، ثم يعلن حيناً آخر : ان الدولة تعلن احترامها بالاسلام ومثله العليا[1] ، وان الفقه الاسلامي هو مصدر رئيسي للتشريع[2] .. » .

«وهكذا جاءت قواعدنا الحقوقية في دولتنا السورية الناشئة مزيجاً من الأحكام السماوية في بعض الشؤون والأحكام ، المخالفة لها في كثير من الشؤون ، حتى ليحار الباحث الحقوقي المتجرد حين ينسب حقوق بلاده أينسبها للفكرة الدينية ، أم ينسبها للفكرة التي اعتنقتها المذاهب الجديدة ، أم يجعلها بين هذه وتلك !» .

(١) مقدمة الدستور الجديد الذي أقرته الجمعية التأسيسية عام ١٩٥٠
(٢) المادة الثالثة من الدستور الجديد .

وهذا رأي خليق أن يصدر عن أجنبي يريد أن يتهم سورية بالتخلف عن مسايرة الزمن ، وبالرجوع الى أحكام الدين في أمور الدنيا . وهو غير الواقع . فسورية تسير - خطأ أم صوابا - في ركب « المدرسة الحديثة » .. وهذه قوانينها التي أصدرتها في مختلف فروع الحقوق من مدنية وجزائية وتجارية وادارية - وهي موضوع بحثنا هذا - أي شيء فيها من الفكرة الدينية ، أو الأحكام السماوية ؟

أما ما جاء في الدستور مما استشهد به المؤلف ، فحري أن يجوز على من يأخذ بظاهر النص من غير تدبر للعلل والأسباب [1] .

ولسنا من رأي المؤلف في ان : « التشريع البيزنطي ناهل من المسيحية » فالمسيحية لم يؤخذ عنها اشتراع ديني ولا دنيوي ، بل حصرت جهودها ودعاياتها في ملكوت السماوات .

وكنا نود توسع المؤلف بعض التوسع في أوضاع الولايات في العهد العثماني ، ففي ذلك احياء لذكرى تلك الروابط التي كانت بين العرب ، وبعث للوحدة التي كانت قائمة بين بعض الأقطار ، فقطعها الاستعمار ، وصيّر البلد الواحد

---

(١) قام فريق من النواب السوريين يدعون الى نص في الدستور الجديد ، على أن دين الدولة هو الاسلام ، وقالوا انهم يريدون من ذلك شيئاً رمزياً ، وفي الحقيقة أرادوا الدعاية والاعلان ، فلما صدهم آخرون عن ايمان وهددوا بأن ينسحبوا من المجلس ، تراجع أصحاب الدعاية الدينية وعمدوا الى هذه النصوص يتسترون بها ، وهي نصوص لا تقدم في الموضوع ولا تؤخر ، ولا سيما مع صراحة المادة الـ ٧ من الدستور التي جعلت السوريين - مهما تباينت عناصرهم وأديانهم - متساوين أمام القانون في الحقوق والواجبات .

ولعل من أغرب المفارقات بين المسلمين والغربيين : ان المسلمين يتساهلون عملياً تساهلاً دينياً كريماً ويعلنون التعصب ، والغربيين يتعصبون تعصباً دينياً ذميماً ويعلنون التسامح . والناس ، يأخذون بالظاهر فيحكمون على المسلمين بالتعصب ، ويزعمون لغيرهم التساهل .

دولا ً ، ثم جاء الاستقلال فأقر سياسة الاستعمار جريا ً وراء الاستغلال والمنافع الشخصية • ان « الوحدة العربية » او « المجموعة العربية » تكون تمهيداً من قبل العرب « للمجموعة العالمية » التي « يسير الانسان – على ما نقل المؤلف ونقلنا عنه – سيراً طبيعيًّا اليها •• » •

وكان خليقاً بالأستاذ البارودي أن يعالج التقسيمات الادارية ، ولا سيما الحلقات الثلاث : المدير والقائم مقام والمحافظ (المتصرف أو الوالي) التي لا تزال قائمة في سورية دون سائر الأجزاء التي انفصلت عن الدولة العثمانية ، فاقتصرت على حلقتين • وأن ينبسط في البحث في صلاحيات المحافظين وتبعاتهم أكثر مما فعل فعمل الادارة في الدولة الناشئة عمل عظيم لا يقاس غيره به ، وليست تستقيم أمور الدولة من الوجهة الادارية مع النصوص الضيقة ، والتطبيقات الحرفية •

وأحسن المؤلف في تأييده النص الذي يحرم على الموظف أن يكون حزبياً ، غير انه يجب ان يوكد عليه ان يكون قومياً يعمل لقومه ويخلص لوطنه ، لا أن يكتفى له بالولاء للدولة •

وكان من الأصح ان تستعمل الألفاظ الادارية المشهورة في كل عهد ، في الكلام على ذلك العهد • فقوله « ولاية دمشق » في غير محله فالولاية كانت « ولاية سورية » لا « ولاية دمشق » واستعمال « السنجق » في الكلام على « لبنان » و « القدس » لا وجه له ما دام الاستعمال الغالب عليها ، حتى عند الترك « المتصرفية » ولا معنى للعدول عن اللفظ العربي المشهور المأنوس ، الى لفظ غير مشهور وغير عربي

هذه ملاحظات عاجلة على هذا الكتاب القيم الذي أحسن مؤلفه تأليفه وتقسيمه وتبويبه ، وأخرجه في حلة عربية ناصعة لا يوخذ عليه فيها الا بعض ألفاظ سبق أن أشرنا الى بعضها في كلامنا على كتابه « مفهوم الدولة » •

المحاضرات العامة

للسنة الجامعية ١٩٤٩ — ١٩٥٠

طُبعت هذه المحاضرات في مطبعة الجامعة السورية، طبعاً أنيقاً على ورق صقيل، فجاءت في حلة قشيبة، خليقة بهذه المحاضرات النفيسة.

وهي ثلاث عشرة محاضرة.

الأولى: «مظاهر الحرية عند العرب» للأستاذ شفيق جبري عميد كلية الآداب.

والثانية: «الرحلة النجمية» للأستاذ وجيه السمان عميد كلية الهندسة.

والثالثة: «تاريخ اللغة البرتغالية» للأستاذ جورج ليان.

والرابعة: «نحو كيان انساني جديد» للدكتور عزة مريدن.

والخامسة والسادسة: «البحر الميت» للدكتور مجدي الشوا.

والسابعة: «رئاسة الوزراء في الفقه الدستوري المقارن» للدكتور منير العجلاني.

والثامنة: «دَوْر التربية في توثيق الروابط بين العرب» للأستاذ أحمد شكري ميران.

والتاسعة: «تطور المثل الأعلى» للدكتور عادل العوا.

والعاشرة: «الرياضيات أو العلوم الصحيحة» للأستاذ نادر النابلسي.

والحادية عشرة: «أحكام المنازعات القانونية» لعميد كلية الحقوق الدكتور سامي الميداني.

والثانية عشرة: (فرنسية) «القواعد الأساسية لدستور ديموقراطي»
Les bases fondamantales d'une constitution démocratique
للأستاذ روبار باللو Robert Pelloux.

والثالثة عشرة: (فرنسية) «المشروعات ذات النفع العام»
Les entreprises d'intérêt general
للأستاذ فرانسوا ترابو François Trevoux.

قدم هذه المحاضرات الأستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة السورية بتوطئة قال فيهـا :

« والجامعة بتنظيمها هذه المحاضرات انما تقوم بواجب مستمد من صميم مهمتها . فمهمتها نحو طلابها لا تقتصر على تلقينهم الدروس النظامية ، بل تتعدى هذا الى تنمية مواهبهم ، وتوسيع أفقهم بما تزودهم به من ثقافة شاملة منيرة ، وما تهيئه لهم من أسباب النشاط الحر في مختلف ميادين العلم والاجتماع .

ثم ان مهمة الجامعة لا تقف عند حدود طلابها ، بل تتعداهم الى المجتمع الواسع ، وعليها - اذا أرادت تأدية وظيفتها حق التأدية - أن تكون في محيطها مركز اشعاع للفكر الجاد الى الحقيقة ، المخلص لها ، المنكب على اكتسابها ونشرها بين الناس » .

وفي الحق ، ان هذه المحاضرات : العربية والفرنسية : العلمية منها والأدبية ، محاضرات مفيدة حرية بأن تُلقى فتُسمع ، وأن تُنشر فتُقرأ . ليفيد منها المستمعون والقارئون أدباً وعلماً . وبذلك تكون الجامعة السورية قد أدت رسالتها الثقافية على الوجه الصحيح . وكان علينا أن نتناول هذه المحاضرات واحدة واحدة بتفصيل نذكر ما لها وما عليها . غير أن ذلك يدعو الى تطويل لا تتسع له صفحات مجلتنا . وليس جميلاً أن نذكر بعضها ونهمل بعضها الآخر ؛ فنقف عند كلمتنا الموجزة هذه .

عبد الله بن المعتز (أدبه وعلمه)

تأليف عبد العزيز سيّد الأهل

المفتش بوزارة المعارف المصرية والمنتدب للتدريس في الكلية العاملية ببيروت

أخرجت هذا الكتاب القيم «دار العلم للملايين» ببيروت ، اخراجاً حسناً طبعاً وترتيباً فجمعت بذلك حسنات الطبع الى حسنات الوضع .

وكان للمؤلف هوى في ابن المعتز ، فهو قد سبق له ان ألف فيه كتاباً سماه «يوم وليلة» ثم عاد فألف فيه كتابه هذا بعد أن «نقاه – على ما قال – من سيرته وتاريخه الا فيما يتصل بانتاجه العلمي والأدبي» . وقد تناول الأستاذ في كتابه : «ابن المعتز» : – ١ – العصر العباسي المتوسط . – ٢ – مذهبه الشعري . – ٣ – فنون شعره . – ٤ – الأراجيز . – ٥ – النقد والبلاغة . – ٦ – أنواع نثره . – ٧ – صفته وأخلاقه .

وقد وفّق الأستاذ في بحوثه الممتعة ، وفي بسط آرائه القيمة ، توفيقاً كبيراً ، حتى ليخيل الى القارئ وهو يقرأ هذه الفصول ، انه قد انتقل الى عصر المؤلف نفسه : يحضر مجالسه ، ويستمع الى محاضراته ومسامراته ، والى أدبه وبيانه ونقده .

ويحدثك المؤلف عن أسلوب ابن المعتز فيقول :

« ... وابن المعتز يبالغ في السهولة ، فيدنو بألفاظه من ألفاظ الناس وادراكاتهم ، مع الاحتفاظ به متماسكاً في معظم الأحيان ، قوياً في بعضها ، دانياً قريباً أحياناً ، ولا يصف لك هذا الادناء والتقريب في شعره ، حتى لتكاد تحسبه ناثراً الا مثل قوله :

كأني بك قد قلت وأطنبت وأكثرتا
وهوّنت وعظّمتَ وأسرفت وأفرطتا

وقربت وبعدت وطوّلت وعرّضتا
وولّيت وأقبلت وقدمت وأخرتا
فدع عقلك هذا (١) فبالعقل تبرعتا

إلا أن ابن المعتز لا يستطيع أن يجد لشعره في الطراد ألفاظاً قريبة ، فيضطر الى الاغراب في أراجيزه وطردياته ..

وكذلك يتوخى الوضوح والسهولة في الأسلوب ، فلا يعقد ولا يقدم ولا يؤخر ، ولا يصعب ويصلب ، وهو في كل ذلك ، انما يساير طبعه الرقيق ، ومزاجه اللطيف ، ويسلك مسالك اولاد الملوك ، فهو لا يتحاشى الخشونة والغرابة عن صنعة واحتيال ، بل لطبع مخلوق ، ومزاج موروث .

ويراود ابن المعتز المعاني مترفة كريمة ، فتطاوعه قوية قريبة ، ويلبسها أسلوبه الرشيق ، فيتجانس لفظه ومعناه أتم تجانس ويتماثلان . وكأنما لسانه وقلبه قد قرب أحدهما من الآخر واتفقا وتقابلا ، فانعكست صور قلبه انعكاساً واضحاً صادقاً على مرآة لسانه ، وعلى هيئتها وحقيقتها ، وقد صفا ابن المعتز ورق كضحضاح الماء النمير يظهر سطحه وقراره لأول لحظة من ناظر ، ويبين اهتزازه وسكونه لأدنى ادراكة من لامح ، فما ينوي عملاً او يتحرك في نفسه خاطر ، أو يهمس بين جنبيه هامس ، الا ظهر على لسانه مصوراً في كلامه . وكأنما خلق ابن المعتز وليس له سر ، فهو ينقل دائماً ما في قلبه للناس : غير متغير ولا منقوص » .

هذه العبارات التي نقلناها بحرفها تصف لنا المؤلف والمؤلف عنه أصدق وصف أسلوباً وبياناً . وقد عزز الأستاذ سيد الأهل أقواله بقطع مختارة من شعر ابن المعتز ونثره . أكثرها آية من آيات الأدب والفن .

(١) كذا وردت ولعل الصواب : فدع عقلك يا هذا ، ليستقيم الوزن .

ولغة الكتاب كما رأيت لغة صحيحة صافية لولا تساهل في بعض ألفاظ وتراكيب ، لا تنسجم كثيراً مع وبيان المؤلف الفصيح ، وأسلوبه العربي الصحيح .

ولا نرى بدأً بامم العلم والأدب ، من شكر سيد الأهل ، على كتاب يعد من عيون كتب الأدب .

هداية القرآن لبني الانسان

موجز منتخب لتفسير القرآن

تأليف يحيى احمد الدرديري

الدكتور في الحقوق ولسانسيه في العلوم السياسية

يقع هذا الكتاب في مئتين وستين صفحة وهو « المجلد الأول : يتضمن تفسير سورتي الفاتحة والبقرة وهو الجزء الأول والثاني وبعض الثالث من كتاب الله الحكيم » .

يقول المؤلف في مقدمة كتابه : « وقد وضعنا هذا التفسير الموجز بعد ، وهو منتخب من تفاسير علمائنا الأعلام ، وفقهائنا الكرام ، وقد اقتصرنا فيه على هداية القرآن التي هي الغرض الأول ، وتركنا ما عداه من نحو وصرف وبلاغة وبيان ، حتى لا نصرف ذهن القارئ عن الهدف المقصود من الهداية » .

وفي هذه المقدمة كثير من الآراء الصائبة والصيحات الداوية ، يريد بها الدكتور أن ينبه أبناء دينه الى مالهم وما عليهم . فهو يقول لهم في جملة ما يقوله :

« أمرنا الله في صريح العبارة بأن ندفع عن أنفسنا العدوان ، ونبذل المال والنفس في صيانة حقوقنا ، والاحتفاظ بحريتنا ومبادئنا ، وحذرنا من التهاون والبخل لأنهما طريق الذل والاستعباد والتهلكة ...

فالاسلام بدعو بصريح العبارة الى الكرامة والذود عنها ، والقتال في سبيلها ، ويعلمنا جلياً : ان الحياة ما هي الا معركة دائمة لا يبقى فيها الا الأصلح والاقوى . فهو بدعو كل مسلم لأن يكون مصلحاً ، ولأن يكون قوياً ...

فلا بد للمسلم الصادق من :

(١) التخلق بالفضيلة : الصدق في القول ، والاخلاص في العمل ، وانجاز الوعد ، وكتمان السر ، وحسن المعاشرة والمعاملة .

(٢) البذل والتضحية في النفس والمال في سبيل احقاق الحق وازهاق الباطل ، وان يحارب كل فساد وتدمير ، ويعمل على كل اصلاح وتعمير ، ويعمل على تحقيق كل خير لصلاح المجتمع .

(٣) الاعتصام بالله وبكتابه وهديه ، فيحل حلاله ، ويحرم حرامه ..

بهذه الصفات والأخلاق ساد المسلمون في الصدر الأول ، واستخلفهم الله في الأرض ، فكانوا خير الخلفاء ، وأحسن الناس سيرة وأقومهم عدلاً .» .

ويعود فيصف ما هم عليه المسلمون اليوم فيقول :

«... يضحي الأفراد بالمبادئ السامية في سبيل المال والجاه ، والشهوة الجامحة وارواء النفس بأحط الشهوات .

أين هي الكرامة يا معشر المسلمين وقد غلبتم على أمركم وضاعت بلادكم واستعبدتكم شهواتكم، وأنتم تعاملون في كافة أنحاء الدنيا معاملة الخسف والهوان؟» .

ويستشهد المؤلف في هذه المقدمة ، كما يستشهد في خاتمة كتابه بأقوال فريق من جلة العلماء الغربيين : فرنسيين والمانيين وانكليزيين ، والعرب المسيحيين ، نوهوا بعظمة الاسلام وصلاحه من الوجهتين : الدينية والزمنية ، وبالرسالة الانسانية العليا التي حملها (ﷺ) فأداها الى الناس .

هذا شيء مما جاء في مقدمة الكتاب ، أما ما اختاره في التفسير فهذا شيء منه :

قال في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة : « ومما رزقناهم ينفقون » رزق : ما انتفع به . والانفاق « الصرف » هنا يشمل النفقة الواجبة على الأهل والولد [1] بالعدل والقسطاس ، وصلة ذوي القربى ، وصدقة التطوع ، وهذه تكون للفقراء والمساكين ، أو لمصلحة من مصالح المسلمين ، ومنفعة من منافعهم العامة كبناء المدارس لمحاربة الجهل ، والمستشفيات لمحاربة المرض ، وانشاء معامل تعاونية ، ومؤسسات اقتصادية لمحاربة الفقر ... » .

ومنها في قوله :

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » .

« وهذه الآية قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق الا أمراً واحداً عبر عنه بقوله : (وللرجال عليهن درجة) وليس المراد بالمثل : المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها ، وانما المراد ان الحقوق بينهما متبادلة ، وانهما أكفاء . فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها ان لم يكن مثله في شخصه ، فهو مثله في جنسه وجعل لهن عليهم ، مثل ماجعل لهم عليهن . وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة ، وبايع النبي المؤمنات كما بايع المؤمنين ، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم .. »

والآيه تدل على اعتبار العرف في حقوق كل من الزوجين على الآخر - مالم يحل العرف حراماً أو يحرم حلالاً مما عرف بالنص - والعرف يختلف باختلاف الناس والأزمنة » .

ويختم الدكتور الدرديري كتابه بكلمة يصف بها سورة البقرة : مكانتها وأهدافها وأثرها ، وبكلمة ثانية في القرآن لمصطفى صادق الرافعي رحمه الله .

هذه صورة من هذا التفسير الموجز الواضح ؛ حري بالمتأدبين أن يرجعوا اليه ، ويعتمدوا عليه .

عارف النكدي

---

(١) لعله يريد النفقة على الأهل والولد.. لا الواجبة عليهم، إذهي واجبة لهم لا عليهم.

كتاب التشبيهات لابن أبي العون

عني بتصحيحه محمد عبد المعين خان

طبع في مطبعة جامعة كمبردج

أثبت ابن أبي عون في كتابه : التشبيهات ، أبياتاً من تشبيهات الشعراء الواقعة وبدائعهم فيها الظريفة وفي رأيه ان الشعر مقسوم على ثلاثة أنحاء ، منه المثل السائر ومنه الاستعارة الغريبة ومنه التشبيه الواقع النادر وما خرج من هذه الأقسام الثلاثة فكلام وسط أو دون لا طائل فيه ولا فائدة معه وابن أبي عون يرى أن أجلّ هذه الأنحاء وأصعبها على صانعها انما هو التشبيه وذلك انه لا يقع الأ لمن طال تأمله ولطف حسه وميّز بين الأشياء بلطيف فكره وهو يعتقد ان التشبيهات التي أثبتها في كتابه فيها حظ ومتعة وتأدب ورياضة .

هذه مقدمة الكتاب التي شرح فيها المؤلف غايته ثم ابتدأ بتشبيهات الخالق ثم ذكر أدوات التشبيه وبعد هذا كله أتى على ذكر جملة من تشبيهات الشعراء من أيام الجاهلية وقد قسم هذه التشبيهات أقساماً فمنها ما يتعلق ببعض مشاهد الطبيعة كالثريا والصبح والبرق والسراب والمزن والروض والمياه والجداول وغير ذلك ومنها ما يتصل بالنساء وبعض مظاهرهنّ كالغنج والوجه والحديث والثدي ومنها ما يدخل في أمور نفسية كغناء الناس والخوف والدهش والجود وبعض العيوب ومنها ما يدخل في أمور مادية كالحرب وبعض أدواتها ، وفي الكتاب تشبيهات من موضوعات ثانية قد يطول ذكرها .

حقاً ان الكتاب يشتمل على متعة على نحو ما ذكر ذلك صاحبه فقد نجد فيه مشي بعض الشعراء على آثار بعض في تشبيهاتهم ، من هذا النحو قول أبي قيس ابن الاسلت :

وقد لاح في الصبح الثريّا لمن يرى كعنقود ملاّحيـة حين نوّرا

تبعة ابراهيم بن المهدي فوصف أرضاً قطعها فقال :

خطّرفتها وثريا النجم خاضعة   كأنها في أديم الليل عنقود !

وقد نجد اختلاف الشعراء وتفننهم في التشبيهات ، من ذلك قول كعب الغنوي في الجوزاء :

وقد مالت الجوزاء حتى كأنها   فساطيط ركب في الفلاة نزول

وقول ابن المعتز في الجوزاء أيضاً :

كأنما الجوزاء في أعلى الأفق   أغصان نَوْرٍ أو وشاح من ورق !

تكررت في هذا الكتاب اللطيف تشبيهات المحدثين مثل أبي نواس وبشار ومسلم والطائي والبحتري وابن الرومي وابن المعتز وأضرابهم ووازن صاحب الكتاب بين تشبيهات المتقدمين والمحدثين فهو يرى أن المتقدمين قد افتتحوا القول وفتحوا للمحدثين الباب ونهجوا لهم الطريق فكان لهم فضل السبق واستئناف المعاني وصعوبة الابتداء الا ان المحدثين قد أحسنوا التأمل وأصابوا التشبيه وولّدوا المعاني وزادوا على ما نقلوا وأغربوا في ما أبدعوا .

لا شك في أن التشبيه انما هو روح الشعر لأن اللغة المجرّدة التي لا تشتمل على شيء من الصور المحسوسة الناطقة انما هي لغة الفلسفة ونحوها وهذا هو الفرق بين الفلسفة والشعر فالفلسفة تخاطب العقل والشعر يخاطب القلب والحياة اذا كانت كلها عقلاً كانت جامدة جافية فلا بدّ من شيء يهوّن من أمر هذا الجمود وهذا الجفاء ولغة الشعر هي الشيء المهوّن والتشبيه من جملة أدوات هذه اللغة ولكن التشبيه لا يعمل عمله في القلوب الا اذا كان معقولاً قريباً من واقع الحياة ولهذا كان شعر الشعراء الذين غلوا في تشبيهاتهم وبعدوا عن واقع الحياة ضعيفاً غير مهذّب .

شفيق جبري

مختارات

من الأدب العامي الحضرمي

جمعها السيد روبرت سارجنت ، طبعت في لندن سنة ١٩٥٠ م
عدد صفحاتها ١٨٤ صفحة

أقام جامع هذه المختارات السيد (R. B. Serjeant) في بلاد حضرموت حيناً من الدهر يخدم سياسة بلاده ويرعى مصالحها • ومن جملة مصالح انكلترا أن تعرف روحية الشعب العربي الحضرمي • وتقف على خلائقه ومختلف طبائعه ولا يتسنى هذا الا لمن خالط الشعب وأكثر من معاشرته على اختلاف طبقاته ولا سيما طبقة الأدباء والشعراء وهواة النكت والنوادر العامية • وهو ما فعله الفاضل المشار اليه • فقد شافه أدباء حضرموت وشعراءها الشعبيين وتلقى عنهم آثارهم وعُني بضبطها وتحقيق ألفاظها جد العناية حتى استكتب (كليشهات) لها بخط فاضلين من خريجي مدرسة الخطوط الملكية المصرية ، وطبع الكتاب كله على تلك (الكليشهات) • فأصبحت المختارات تُقرأ بسهولة ومن دون جهد وتفكير • ولكن ما الفائدة من ذلك كله إذا كانت تلك المختارات الحضرمية لا يفهمها الا الحضارمة ما دامت مكتوبة نثراً ونظماً بلغتهم العامية ولهجتهم الدارجة ؟ ومن قرأ المختارات أدرك لأول وهلة مقدار فضل الله على العرب مذ جمع كلمتهم بلغة القرآن الفصحى التي يلجأون اليها في التفاهم حين الحاجة ولولاها لقام في كل قطر عربي لغة جديدة لا يفهمها الا أهلوها • ولذا كان من مبدئنا مقاومة فكرة إحياء اللهجات والعناية بنشرها والكتابة بها • أما المستعمرون فيهمهم أمرها • وتمتين عراها • فيبلغون ما يريدون من أصحابها المتكلمين بها •

وجامع المختارات عدا عنايته بهذا الكتاب من جهة الخط والطبع وثخانة الورق فانه قدم لكتابه مقدمة باللغة الانكليزية غاية في الفائدة على ما يظهر من حيث

التعريف بحضرموت وأدبائها وطرائقهم في انتاج ما ينتجونه من الآثار في لهجة وطنهم وقد بلغت تلك المقدمة ٨٧ صفحة ·

وصنف تلك الآثار جامعها الى قسمين القسم الأول الآثار المنثورة والقسم الثاني الآثار المنظومة ·

وافتتح القسم الأول بقوله :

(كتاب الحبوب والثار · وما كان بينهم من النظم والأشعار · تأليف من هو راجي من ربه الخيرات والبركات أحمد بن عبد الله بَرَكات · دفين بلد شبام في ١١ محرم سنة ١٣٤٨) ه ·

وهذا الأثر الشعبي الذي سُمي كتاباً ليس هو سوى رسالة أو مقامة بلغت ١٤ صفحة وقع فيها حوار بين الرزّ والبُرّ أيهما أفضل ؟ وأُتبع هذه المقامة كاتبها أو جامعها بما سماه (قراآت أو ملحوظات) علّق فيها على تلك الألفاظ تفسيراً وتحليلاً واختلاف روايات، وهكذا في سائر ما جمعه من تلك الآثار المعاصرة سواء أكانت نظماً أو نثراً · ولولا أن فائدتها بالنسبة الى قراء مجلتنا قليلة لكنا اقتبسنا طائفةً منها · على أن الأسلوب في هذه الآثار الحضرمية يتخلله أحياناً ألفاظ فصيحة · وجمل صحيحة · لكن الروح الغالبة عليه ما لا يُفهم من اللهجة العامية الغريبة عنا · واليك أيها القارئ مطلع هذه القصيدة بعنوان (قصيدة في ملقاة التُخم ما بين يافع وآل كثير لعمر بن محمد باعطوه) :

(يا الله يا رباه يا خول العطى يا رافع السبع السماء ونجومها)

(ثم قال باعطوه تزعّل مرفدى تنسّمي يا نفسيَ المهمومه) الخ

ومها يكن فالفائدة من هذا الكتاب مرجوة لعلماء اللهجات العربية · وبشكر الجمع لمن أهدى اليه هذه المختارات وجامعها الفاضل ·

معجميّات

عربية – سامية

مؤلفه الأب مرمرجي • طبع في مطبعة المرسلين في جونية (لبنان) سنة ١٩٥٠
عدد صفحاته ٢٤٠ صفحة

موضوع هذا الكتاب كموضوع كتابين سبقاه للمؤلف أحدهما باسم (المعجمة العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية) والآخر بعنوان (هل العربية منطقية أبحاث ثنائية ألسنية) وها هو ذا أخوهما الثالث بعنوان (معجميات عربية سامية) وكنا كتبنا تقريظاً ونقداً للكتاب الثاني (المعجمية العربية) في مجلة المجمع العلمي (سنة ٢٣ صفحة ٤٤١) أشرنا فيه الى صعوبة فهم المراد على القراء ـ من أسماء هذه الكتب فضلاً عن صعوبة فهم موضوعاتها • ومن أراد معرفة رأينا في ذلك فليرجع الى ما قلناه في التقريظ بل النقد المذكور •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخلاصة الموضوع ان الأب يقول ان الأسماء والأفعال في اللغة العربية ترجع في أصولها الى حرفين فقط فهي ثنائية الأصول لا ثلاثيتها كما هو المقرر الثابت عند علماء اللغة العربية • ومن أمثلته في الاستشهاد على رأيه كلمة (بلد) فهي مشتقة من مادة (لبد) • و (لبد) مشتقة من (لبّ) ومادة (لب) تفيد معنى (بلد) و (لبد) فاذا قلنا له ان (لبّ) ثلاثة أحرف : لام وباءآن مشددتان أي مدغومة احداها في الأخرى فهي ثلاثة أحرف يقول: كلا بل هي حرفان، فاذا احتججنا عليه بلفظنا المسموع مذ نقول (لَ بْ بَ) فالباء المشددة حرفان في الواقع ونفس الأمر، أحالنا على علماء (الألسنية السامية) أي علماء اللغات السامية فنضطر ان نسكت ثم لا نعلم ان كان زملاؤنا في المجمع اللغوي المصري سكتوا سكوتنا مذ ألقى حضرة الأب كلمة في هذا الموضوع عليهم في خلال الصيف الماضي أو انهم سلّموا له رأيه تسليما أو ناقشوه فيه تزييفاً

على أننا مهما عارضنا زميلنا في رأيه فاننا نعارض كل من حاول تفنيده أو اسكاته عن غير طريق العلم . فللعلم حريته . وللرأي استقلاله .

ولم يقتصر الأب في كتابه هذا (المعجميات) على بسط الموضوع المذكور بل بسط رأيه في مواضيع وألفاظ أخر ومعظمها مما سرده غبطة بطريرك السريان في حمص في كتابه الذي سماه (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية) فالأب أنكر عليه كل الانكار جعله ألفاظاً عربية صحيحة من أصل سرياني . وقد أصاب في ما قال .

وانا لنرجو لصديقنا الأب مرمرجي التوفيق في ما قصد اليه من خدمة اللغة العربية الذي يهواها ويُعد من أكبر أنصارها .

المغربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تهذيب الإيضاح

شرح حديث لكتاب الايضاح الذي الفه الجلال القزويني ثم الدمشقي قاضي دمشق وخطيب جامعها المتوفى سنة ٧٣٩ هـ . هذبه ورتبه وشرحه الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي وأستاذ العلوم العربية بكلية الآداب السورية .

الجزء الأول — فن البديع

عهدت الجامعة السورية بتدريس العلوم العربية بكلية الآداب الى صديقنا الأستاذ عز الدين التنوخي ، فقام بتدريس علم البلاغة فيها خير قيام ، وآثر في ترتيب فنونه الابتداء بفن البديع فالبيان فالمعاني ، وكتاب البديع هذا بلغ بفهارسه المنوعة ما يقرب من أربعمائة صفحة ، استهله بعد المقدمة ، وترجمة المؤلف صاحب تلخيص المفتاح ، وشرحه الإيضاح ، بفصل في تاريخ البديع ، ثم عقد نحو خمسين باباً في التحسينات اللفظية والمعنوية ، وشرحها بما لا يقل عن مثلها ، وختم كل باب بإيراد شواهد ونصوص عليه ، ليتم به تطبيق العلم على العمل ، وهذه

النصوص والشواهد آيات من التنزيل الحكيم مشار الى سورها وأرقامها ، وأحاديث نبوية معزو أكثرها الى الصحيحين والسنن ، وشعر ونثر لبلغاء الشعراء والكتاب مع الدلالة على دواوينها وكتبها ، وقد فعل مثل ذلك في ما أورده « الإيضاح » من النصوص والشواهد أيضاً ، فذلل من الكتاب الصعاب بما شرح من مسائله ، وبما يسّر لطلاب الآداب من مصادر يرجعون اليها ، ويستوفون المباحث منها .

وكنت قدمت للأستاذ التنوخي كتاب « التبيان في المعاني والبيان » للطيبي ، وهو الذي كنت نسخته أيام الطلب والتحصيل ، وقرأته على أستاذنا القاسمي (رحمه الله تعالى) فنقل الأستاذ عنه ، وأشار اليه في مواضع من مؤلفه ، وقال (ص ١٤٥) : «وهو بخط صديقنا (محمد بهجة) وقد وعدنا بنشره يوم أعارني مخطوطته ، وذلك إن أعان الرحمن وسمح الزمان» ونحن نسأل الله تعالى أن يحقق ذلك على يديه بمنه وتوفيقه . هذا وقد تصفحنا « التصحيحات » في آخر الكتاب فرأينا أن نضيف اليها ما سها قلم الأستاذ التنوخي عنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن ذلك أنه كتب على غلاف الأجزاء الثلاثة عن الخطيب القزويني ما نصه : « المتوفى سنة ٧٢٦ من الهجرة » مع أنه قال في ترجمته ص ١١ : وبعد أن أعيد من القاهرة الى قضاء الشام أقام بها قليلاً وتعلل ، وأصابه فالج فمات منه في منتصف جمادى الأولى سنة ٧٣٩ للهجرة ا ه . وفي الدرر الكامنة (ج٤ ص ٥) : مات الجلال القزويني في منتصف ج ١ سنة ٧٣٩ ومثله في الشذرات (ج ٦ ص١٢٣) . فليصحح ما كتب على الأجزاء الثلاثة . وقال في ترجمة المؤلف : وذكرنا بأنه أخذ الأصلين أي التفسير والحديث عن الأيكي ، وهو الشمس ابو عبد الله محمد الأيكي الشافعي ، كان فقيهاً صوفياً ، وإماماً في الأصلين ، وشرح مختصر ابن الحاجب (٦٩٧ ه) .

أقول : أما تفسيره الأصلين بالتفسير والحديث ـ وبقصد القرآن والحديث ـ

فهو صحيح في نفسه لغة وشرعاً - ولكنهم يريدون بالأصلين : أصول الدين وأصول الفقه ، (أي أصول العقائد وأصول التشريع) ، وفي كليات أبي البقاء : والأصل في الدين هو التوحيد ، ومختصر ابن الحاجب الذي شرحه الأبكي ، هو مختصر كتابه (منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل) وأوله : لما كان علم أصول الفقه من الأمر الجلل .... إلخ وهو مطبوع بمصر .

في الايضاح ص ٢٨٣ . وقيل السجع غير مختص بالنثر (أي : بل يتعداه الى الشعر) قال : ومثاله من الشعر قول أبي تمام من قصيدة يمدح بها نصر بن منصور :

تجلّى به رشدي ، وأثرت به يدي   وفاض به ثمدي ، واورى به زندي

والشاهد في اتفاق فواصل البيت في حرف الدال الأخير .

وقد كتب الأستاذ في تهذيبه : عبارة المصنف مقلوبة ، والصواب أن يقال : (النثر غير مختص بالسجع) لأن معنى اختصاص السجع بالنثر الا يكون شيء من النثر إلا مسجعاً ، وهذا لا يقوله أحد ومعنى اختصاص النثر بالسجع ألا يكون السجع إلا نثرياً ، وهو المقصود .

قلت : وهو من الصديق سهو أو سبق قلم ، لأن الشاهد في (السجع) والكلام فيه ، وأنه كما يقع منثوراً يقع منظوماً ، وقد أورد الشواهد الشعرية عليه ، وليس الشاهد في النثر ، وأنه يكون مسجوعاً وغير مسجوع ، لأن هذا لا خلاف فيه ، وعبارة المؤلف ظاهرة في المراد ، أما عبارة التصحيح «النثر غير مختص بالسجع» فمفادها أن النثر كما يقع مسجعاً ، يكون غير مسجع أيضاً ، ومن يخالف في هذا ؟ وجملة المؤلف لم ترده ولم تشر اليه ، بل أرادت هذا المحسّن اللفظي - وهو السجع - وأوردت له الشواهد نثراً ونظماً ، وهي صحيحة في معناها .

مجاز اللغة والأسماء والصفات

شرح الأستاذ التنوخي في تهذيبه ، ما أورده المصنف من أسماء الله تعالى وصفاته ، ناقلاً عن الزمخشري ما فسرها به في كشافه ، وهذه أمثلة منها :

في باب المشاكلة (ص ٦٠) : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » تطلق النفس على الروح والقلب ، فلا يجوز إطلاقها على الله ، إلا على سبيل المشاكلة ، ونقل عن الكشاف ما هو بمعناه ، وقال : ورد في الكتاب المبين كثير من آيات المشاكلة ، (قال) : وبمعرفة المشاكلة يزول الإشكال في تفسيرها ، ومن التفسير ما يوجب التكفير ، وفي بحث « التورية » يقول الكشاف : وجعلوا العرش كناية عن الملك ، أي في الآية الكريمة : « الرحمن على العرش استوى » (ص ٩٠) وقال السكاكي : أكثر متشابهات القرآن من التورية (ص ٩٤) وقال الزمخشري : ولا أنفع ولا أعون على تأويل المتشابهات من كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته منها اهـ ص ٩٦) منه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد وصف الأستاذ التنوخي المفسر الزمخشري بأنه بليغ العلماء والمفسرين ، واعتمد تفسيره في تهذيبه ، قلت : لا ريب أن تفسير الكشاف مؤسس على بلاغة القرآن ، ومبني على علمي المعاني والبيان ، فهو قد حقق كثيراً من فرائد الكتاب العزيز ، وكشف عن كثير من مخدرات معانيه الحسان ، فبرزت بأروع صورة ، وأجلى بيان .

ومن مزاياه أنه يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إيجازه وإعجازه ، لكن يؤخذ على هذا التفسير ما يؤخذ على مذهب مؤلفه المعتزلي ، وهو أنه منح العقل سلطة لا تحد بحد نقل ولا عقل ، وحلّق في جو لا يبلغه حس ولا علم ، فنفى ما أثبته الله لنفسه من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، كالنفس والوجه واليدين والاستواء وغيرها ، مما يختلف تمام الاختلاف

عن محسوسنا وملموسنا ، بل عن جميع ما تتصورة أو تُصَوّره عقولنا وأفهامنا ، والمعتزلة قد فهموا بل زعموا أن ليس لهذه الصفات من المعاني إلا ما هو في المخلوق ، ثم نزهوا ربهم عنها إذ «ليس كمثله شيء» ثم أثبتوا لهذه الألفاظ معاني مجازية ، ثم حكموا وجزموا بأنها هي المرادة لله تعالى ، وأنت تعلم أن هذه المزاعم الأربعة لا يقوم على واحد منها دليل ، وليس هنا موضع التفصيل .

(في ص ٦٢) : نقص آية «قولوا آمنا بالله» جملة «وما أنزل الينا» .

ولعل الاستاذ الكريم يشير في مقدمة الطبعة الثانية من «التهذيب» الى ما رأى الاستغناء عنه من مباحث «الايضاح» كما فعل في حذف «الاستتباع» وهو الوصف بشيء يستتبع وصفاً آخر ، واكتفى (بالإدماج) الذي عدّه المصنف أعم منه ، وأشار اليه في (ص ١٩٤) . ولعله يستوفي أيضاً ضبط جميع ما يشكل على القراء من الشواهد وأصحابها ، وتاريخ وفياتهم ، وعزو الأحاديث ، ولم يفته من ذلك كله الا القليل .

أثاب الله الأستاذ التنوخي على شديد عنائه ونصبه ، وشكر له إخراج كتاب «الايضاح» مزداناً بجلل شروحه وتهذيبه ، حتى صار عمدة الدارسين والمدرسين ، في أرقى الجامعات الدينية والمدنية .

الجزء الثاني — فن البيان

كنا كتبنا على الجزء الأول من هذا الكتاب النفيس في فن البديع ، وأمامنا الآن الجزء الثاني في فن البيان ، وهو كسابقه تحقيقاً وتدقيقاً ، وشرحاً وتفصيلاً ، وإكثاراً من إيراد الشواهد الشعرية البليغة ، ودلالة على المصادر الكثيرة ، بل وإرشاداً الى صفحات المباحث المطلوبة منها أيضاً ، وختماً لكل باب بنصوص من آي الذكر الحكيم ، وحديث النبي الكريم ، وشعر العرب

التليد والطريف ، تطبيقاً للعلم على العمل ، وإنشاء الملكة البيان في نفوس الطلاب والطالبات الجامعيين وغيرهم ، وقد وصفت الجزء الأول بما يغني عن الاعادة والتكرار .

ومما امتاز به هذا الجزء البياني على غيره ، هو أن الأستاذ التنوخي قد عاد به إلى أصله ، ولا يخفى أن الجلال القزويني قد لخص « المفتاح » للسكاكي في علوم البلاغة ، ثم شرح تلخيصه « بالإيضاح » ؛ ومؤلفا المفتاح والإيضاح قد لخصا كثيراً من مباحثهما من كتابي : « دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة » لإمام هذه الفنون البلاغية الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد وقع في هذه التلخيصات كثير من الإبهام والغموض ، حتى في معاني الشواهد التي أوردها عن « الأسرار » طبع المنار ، فجاء التنوخي في شرحه ، يرد كل فرع إلى أصله ، تارة بنقل عبارة الجرجاني بتمامها ، فتوضح الغامض ، وتحل المشكل ، وتبعث في نفس القارئ الهمة والشوق إلى دراسة هذين المصنفين العظيمين « الدلائل والاعجاز » وهما أعلى لغة ، وأعذب أسلوباً ، وأوضح دلالة من المفتاح والإيضاح ، وإن كان هذان طريقاً الى الاولين ، وتارة يرشد المهذب إلى صفحات الشواهد المنقولة عن الأسرار ، ويرغب الطلاب في العودة اليها ، واستيفاء معاني الشعر منها ، ولعمري إن صياغة عبد القاهر الأدبية في كتابيه ، هي السحر الحلال لقصاده ، والماء الزلال لوراده .

ومن إيضاحات « التهذيب » أيضاً تلك الجداول البيانية ، التي سطر فيها خلاصة المباحث ، وملخص مذاهب علماء البيان فيما افترقت أنظارهم فيه ، كما ترى في بحث الاستعارة على مذهب السكاكي (ص ٢٤٢) ففيه إنكار تقسيمها الى أصلية وتبعية ، وقد ردّ التبعية الى قرينة المكنية ، كما في (نطقت الحال) فقال : إن الحال استعارة مكنية ، و (نطق) قرينتها ، ورُدَّ عليه بأن قرينة المكنية عنده استعارة مصرحة ، والاستعارة في الفعل - أي كنطق - لاتكون إلا تبعية .

وبما أخذنا على المؤلف والمهذب معاً في فصل (المجاز بالحذف والزيادة) تأويل الأول لآية : « وجاء ربك » قال : أي : أمر ربك ، وعلل المهذب ذلك بقوله : لاستحالة المجيء على الرب، أما اسناد المجيء الى أمره فهو جائز اه (ص٢٣٩) . وأرى أن أزيد هنا على ما استدركته على (ج ١ فن البديع) في مبحث الحقيقة والمجاز : أن مجيئه سبحانه ليس بمستحيل ، فنضطر الى هذا التأويل ، ولو جعلناه مجازاً بالحذف كما في قوله « واسأل القرية » أي أهلها ، لشبهناه تعالى بالجمادات التي لا يسند اليها المجيء ، كالقرية التي لا يتوجه اليها السؤال ، على أن إسناد المجيء الى « الأمر » في قولنا « وجاء أمر ربك » مجاز أيضاً ، لأن الأمر « شيء ذهني لا يتأتى منه المجيء » ، وإن قلنا إنه استعارة وقد حذف المشبه به وهو « الأمر » ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو « المجيء » على طريقة الاستعارة المكنية الأصلية ، فقد شبهنا أصل الموجودات ، وهو خالق الأرض والسموات ، بالمعقول أو المعدوم ، وهو أمر ربك ، لا سيما على مذهب المعطلة الذين لا يثبتون له تعالى كلاماً لفظياً ولا نفسياً ، فتبين أن كلا الأمرين – المجاز بالحذف والاستعارة – محال على الله عز وجل .

والصواب أن المجيء كالقوة والرحمة والعلم والحكمة وكصفة الكلام ، كلها من صفات الكمال ، الثابتة عقلاً ونقلاً لذي الجلال ، فمن نفاها عنه فراراً من تشبيهه بالأحياء من المخلوقات ، فقد شبهه بالجمادات والمعدومات ؛ والآلة التي تري المتكلم الآن حاضراً عندنا (Télévision) وهو لم يبرح مكانه ، تهدينا إلى فهم المجيء والنزول بلا انتقال ، ولله المثل الأعلى ، فوصفه بما وصف به نفسه حقيقي غير مجازي ، وهو لا يحتاج الى تأويل بلَه التعطيل ؛ فراراً من شبهة التشبيه ، فإن تشبيه من « ليس كمثله شيء » بالمخلوق غير وارد من أصله .

وإني مضيف الى التصويب ما سها عنه قلم المصحح ، ففي ص ١١ غلط بالأرقام ظاهر فليصحح ، و (ص ١٣ س ٣) : هوازن ، و (ص ١٢ س ١) : إحداها ،

و (ص ١٣١ س ١٢) : أن تقوم فيه ، و (س ١٣) المطَّهَّرين ، و (ص ١٣٢ س ٨) : بمثل ، و (ص ١٨٧ س ١٠) ، هذا ما وَعَدَ ، و (ص ٢٦١ س ٥) : بفتح الصاد ، و (ص ٢٨٨ س ٧) : ذاك الغنى ، و (ص ٢٩٠ س ١٢) : لم تنتطق ، و (ص ٣٠٠ س ٩) : مواهب الفتاح .

وقد بلغ هـذا الجزء بفهارسه للموضوعات ، ومراجع البحث ، والشعراء ، والأعلام أكثر من ثلاثمائة صفحة .

شكر الله لصديقنا المؤلف حسن صنيعه وبارك في عمله .

الجزء الثالث – فن المعاني

بدأ الأستاذ التنوخي في تهذيبه وشرحه للإيضاح في علوم البلاغة بفن البديع وختمه بالمعاني ، انتقالاً بالطالب من السهل الى الصعب ، ووفاقاً لما جرى عليه عرف العلماء في الغرب ، فقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته أن أهل المغرب اختصوا من أصنافه علم البديع خاصة ، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية ، وفرعوا له ألقاباً ، وعددوا أبواباً ، ونوعوا أنواعاً (قال) : « وانما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ » قلت : فما أجمل هذه الوحدة الثقافية العربية ، في أقطارها الشرقية والغربية .

وهذا الجزء الثالث كسابقيه ترتيباً وتهذيباً ، وشرحاً وايضاحاً ، واكثاراً من الشواهد ، وتمريناً على القواعد ، واعراباً بيانياً ، ولقد قرّب بعمله هـذا كتابي المفتاح والإيضاح لطلابها ، وحبب الى القراء مطالعة أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز بما نقله عنها ، وهدى إلى المراجع الكثيرة من أمهات كتب النثر والشعر ليسهل الرجوع اليها ، والاستفادة منها .

وكتابه هذا أجل الأجزاء الثلاثة ، فقد بلغت صفحاته أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة ، عدا فهارس الموضوعات ، ومراجع البحث ، ودليل الكتاب المرتب على حروف الهجاء ، والتصحيحات ، وإني مضيف الى هذه التصحيحات

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ما لم أره فيها ، مقدماً الآيات الكريمة : ص ١٠٥ س ٤ : « بدا أبي لهب » ، ص ١٣٧ س ٤ : « أو إياكم » ، ص ١٩٠ س ٩ : فإنها ، ص ٢٣٥ : « لئن أشركت » ، ص ٢٧١ في الحاشية س ٢ : « حور » ، ص ٣٣٣ س ٦ : « في جنب الله » ، ص ٤٢٤ في الحاشية س ١ « وإذ استسقى » و س ٢ : « أناس » ، ص ٤٣٢ س ٣ « حافظوا » . ومن غير الآيات ص ٢١٦ في الحاشية س ٩ « ومن يك أمسى » بتقديم (بك) على (أمسى) ، وتأخيرها سهو مطبعي .

وقد أورد الجلال القزويني وغيره في بحث المجاز العقلي للصلتان العبدي الشاعر الحمامي قوله :

أشاب الصغير وأفنى الكبيـــر كرّ الغداة ومر العشي

أسند : أشاب وأفنى الى الكر والمر : ولم يسندهما إلى الله عز وجل ، وقال الجلال القزويني (ص ٧٢) : ولهذا لم يحمل على المجاز ما لم يُعلم أو يُظن أن قائله لم يرد ظاهره ، ولكنه عاد الى الاستشهاد بالبيت فقال (ص ٧٨) : وكصدور الكلام من الموحّد في مثل قوله (أشاب الصغير ....) البيت ، وعلق عليه الأستاذ التنوخي بقوله : « فان القرينة الدالة على المجاز معنوية ، وهي نسبة الإشابة والإفناء الى (كر الغداة ومر العشي) اه . قلت : ويظهر من كلام الجلال السيوطي في شرحه لأرجوزته (عقود الجمان) أن القرينة لفظية كما في قول أبي النجم « أفناه قيل الله للشمس اطلعي » بعد قوله :

ميّز عنه قنزعاً عن قنزع جذب الليالي أبطئي أو أسرعي

فقد قال السيوطي ص١٣ : وقد وقفت على القصيدة التي منها (أشاب الصغير ....) البيت ومن جملة أبياتها :

فملتنا أننـا المسلمو ن على دين صديقنا والنبي

كذا أورده المبرد في الكامل ، وعزا القصيدة إلى الصلتان العبدي فعلم بذلك حمله على المجاز (أي اللفظي) والله أعلم .

محمد بهجة البيطار

Bishr Farès - Une miniature religieuse de l'école arabe de Bagdad, (Mémoires de l'Institut Français d'Egypte, T.LI. Le Caire 1948).

(منمنمة دينية تمثل الرسول، من أسلوب التصوير العربي البغدادي)

كتاب باللغة الافرنسية عدد صفحاته (١٠٦) صفحة بالقطع الكبير و (٣٢) لوحاً مصوراً يتلوها ملحق عربي في (٣٧) صفحة لخص فيه المؤلف بحثه الافرنسي وزاد عليه بياناً ضمنه الاصطلاحات الخاصة بالفن التي استعملها لهذه الترجمة . طبع في عام ١٩٤٨ في مطبعة المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة .

اهتدى الأستاذ بشر فارس في دار الكتب المصرية الى نسخة خطية من الجزء الحادي عشر من كتاب الأغاني كتبها محمد بن ابي طالب البدري سنة ٦١٤ هـ . وعثر المؤلف ضمن هذا الجزء على صورة ملونة ـ أو منمنمة حسب اصطلاحه ـ زين بها الكاتب أو الرسام وجه الورقة الثانية التي كتب على ظهرها مطلع الفصل الأول وهو : « خبر أساقفة نجران مع النبي صلى الله عليه وسلم » . وهذا يشير الى أن موضوع الصورة هو من مشاهد الخبر الآنف الذكر . وقد أدرك الأستاذ البجانة قدر ما عثر عليه فأظهره الى الوجود وعرف عنه بقوله : « قد مد هذا الأثر الجديد في عمر التصوير الديني الاسلامي قرناً (من بداية الثامن الى بداية السابع) ويقوم مقام شهادة عربية عظيمة الشأن في مسألة كثر فيها النقاش ، وهي التصوير الديني في الاسلام » .

لقد أضاف المؤلف بنشره هذه الصورة وثيقة جديدة الى دراسة فن التصوير عند العرب . ولهذه الصورة مغزاها في مبلغ عناية المسلمين بالتصوير الى جانب عنايتهم بالزخارف وأضراب التجميل في عصورهم الزاهرة ، وما هذه البقية الباقية

من الصور التي حفظتها عناية القدر وسلمت من عبث الجاهلين وتلف المخربين الا شهادة حق على فساد مزاعم من رموا المسلمين بالتعصب الديني لأنهم أهملوا الفن والتصوير وتجنبوهما . وقد حان الوقت لاعادة النظر في قضية تحريم التصوير في الاسلام ودحض التأولات أو التفاسير الخاطئة في هذا الشأن بعد أن زود المجانة بمئات الوثائق المصورة التي يرجع عهد بعضها الى صدر الاسلام .

ومن المؤسف ان تغفل كتب التراجم سير أكثر النساخ ولذلك أهملت سيرة صاحبنا محمد بن ابي طالب ، غير انه يمكننا أن نجزم بأنه شيعي المذهب كما يستدل ذلك من العبارة التي اختتم بها ما استنسخه (لوح ٢) وهي : «الحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وعلى وصيه وآلها الطاهرين وسلامه» . وهذا يدعم ما ذهب اليه المؤلف من نسبة هذه الصورة لأسلوب التصوير العربي البغدادي لأن انتشار المذهب الشيعي وقتئذ كان بأوسع مداه في العراق بخلاف ما كان عليه في بلاد الشام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورغم الطابع البغدادي الظاهر على هذه الصورة فانها لا تخلو من معالم تأثير الفن المسيحي السوري ، ولا يستنكر ذلك لأن الفن المسيحي الذي احتفظت به بلاد الشام قد نقله منها فنانو بغداد في عهد العباسيين وطوروه من دون ان يتحرروا من أساليبه حتى امتزج الطابعان وتشابها .

وأما الملحق العربي فهو أبعد من أن يحيط بما في الأصل من فوائد الأبحاث ، ولكن كان الغرض منه كما قال المؤلف : «ان تجري الثقافة العربية الى المشاركة في التأليف العلمي حتى تستوي فتتمكن فتذيع .... ولا يحسن بالناظر المتعقب الا ان يعتمد الكتاب لا الموجز» . وقوله هو خير تعريف .

وأما الاصطلاحات الفنية التي اعتمدها المؤلف فيجدر بحثها على حدة لأهميتها وعظيم فائدتها .

جعفر الحسني

الموسوعة الاجتماعية

تصدرها باللغة العربية لجنة نشر الثقافة الاجتماعية بمصر

مطبعة مصر في ٩٦ صفحة من القطع الكبير

ينصرف العالم الآن بعد حربين طاحنتين الى الدراسات الاجتماعية الحديثة لعلها تقدم للأمراض الاجتماعية والاصلاح الاجتماعي دواء ناجعاً . وتوجهت الأنظار الى علماء الاجتماع يرجون على يديهم الشفاء ، فصدرت لذلك مؤلفات وكتب كثيرة في أوربا وأميركا راجت رواجاً عظيماً في العالمين . ولكن العالم الجديد قطع في هذا الميدان شوطاً واسعاً فقام بانشاء موسوعة للعلوم الاجتماعية يحررها بالانكليزية أئمة علماء الاجتماع في العالم تحت رعاية عشرة مجامع علمية أميركية . وقد اشترك صفوة الكتاب في هذه الموسوعة وعاونهم عدد من المستشارين لمراجعتها ونقدها ، واستمر العمل في تأليفها خمسة عشر عاماً ، فاحتلت موقع الصدارة بين الآثار العلمية الحديثة في أوربا وأميركا .

ويكاد أكثر الشرقيين والعرب يجهلون ما لهذه الموسوعة من مقام رفيع وأثر فعال في تطور الجماعات عندنا وتدرج الحياة في بلادنا ؛ لذلك قامت في القاهرة لجنة من صفوة المثقفين فأنشأت جمعية لترجمة هذه الموسوعة إلى اللغة العربية ودعتها « لجنة نشر الثقافة الاجتماعية » ويشرف على تحرير هذه اللجنة الأستاذان علي حسني وأبراهيم زكي خورشيد ، ويقوم على ادارتها الأستاذ احمد الشنتناوي ، ويدير التحرير فيها الأستاذ محمود محمد شاكر . ولكل من هؤلاء الأساتذة جهده المشكور وأثره المذكور في ميدان التأليف والترجمة . والقراء يذكرون ترجمة دائرة المعارف الاسلامية وغيرها من الكتب التي نشرها أو ترجمها هؤلاء الأساتذة .

هذه هي الخطوة المباركة التي خطتها اللجنة في ترجمة هذه الموسوعة ترجمة دقيقة في سلاسة ويسر ، وعبارة منسجمة مع أسلوب البحث . فالمفردات العربية دفينة في قلب معجماتنا ، والمفردات الغربية غريبة على مصطلحاتنا . وقد بوبت اللجنة هذه المباحث ورتبتها على حروف الهجاء العربي فجعلتها كأنها وضعت للعرب حين وضعت . وربما وقع في حرف الألف بالترجمة العربية ما موقعه الحرف الخامس عشر من الأصل الانكليزي .

وقد ذكرت اللجنة في ختام كل مقال المصادر التي اعتمد عليها المؤلفون ذكراً كاملاً باللغات الأصلية . ويحتوي هذا المجلد الأول على بعض حرف الألف : كالائتلاف والآثار وآداب المجتمع والمهنة والابعاد السياسي والابيقورية والاتحاد والاتحادية والاتفاقات والمعاهدات إلى جانب الأعلام المبدوءة بالألف من شرقيين وغربيين وفيهم ابن تيمية وابن رشد وابن خلدون وابن حنبل ومسكويه وابن ميمون وابسن وغيرهم .

وفي هذه الموسوعة من الجهد ما يقصر عنه كثير من المؤلفين والمترجمين وفقت فيه اللجنة . وإذا كنا نأخذ عليها شيئاً فانما نأخذ عليها الخطأ المطبعي في رسم بعض المصادر الألمانية والفرنسية مما يحتاج الى دقة بالغة في التصحيح والمراجعة .

ونطمع كذلك أن تتزيد اللجنة في الأعلام العربية من ذكر مصادر أغفلتها الموسوعة كمادة ابن تيمية مثلاً فقد ألف فيه المستشرق هانري لاووست كتاباً يزيد على سبعمائة صفحة ونشره في مصر بين ظهراني الأساتذة المترجمين [1] ، وقد فعل ذلك بعض أعضاء اللجنة حين ترجموا دائرة المعارف الاسلامية فذكروا ما أغفل المستشرقون ، وصححوا فيه وأضافوا اليه .

(1) Henri Laoust, *Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki - D - Din Ahmad - B. Taimiya*, Le Caire 1939, 755 pages, in8°.

ألوان شتى — مجموعة شعر

لطالب الحيدري

١٥٩ صفحة من القطع المتوسط — مطابع دار الكشاف في بيروت

هذا ديوان فيه صورة جديدة لشعر الشباب وألوان جديدة من ألوان الشعر المعاصر قد انطبع بطابع العصر وتلون بلون الزمان فليس من شعر المناسبات الذي انقضى عليه ربع القرن الماضي بولادة مولود ووفاة شيخ أو زيارة زعيم أو تتويج ملك . وليس في شعر الغزل الصرف يعج كلّه بالصدر والعطر، والجسد والمادة . ولكنه صورة الشباب المتوثب الذي يتقد وطنية فيثور على نظام الطبقات، وينتصر للفقير والبائس، وينتظم في صفوف الشعب المناضل .

والشاعر طالب الحيدري عراقي، نشر ديوانه وهو في الثانية والعشرين ونظمه وهو في العشرين، وقد ذكر في ديوانه (ص ٨٧) أنه قد احتفل سنة ١٩٤٧ ببلوغه عشرين عاماً وقال حينذاك :

أيها اللهو لا أرى لك عوداً كيف ألهو وقد خطبت الكمالا
سوف أقفو «الشريف» فضلاً ونبلاً وأكون «الوليد» سحراً حلالا
ليس من يقطع الحياة خمولاً مثل من يقطع الحياة نضالا
ان عمر الفتى صحائف أعمال فسجّل لنفسك الأعمالا
لا يُنال الخلود إلاّ بآثار تهز الأجيال فالأجيالا

ويقول في جده وقد استشهد في «القرنة» سنة ١٩١٤ ذائداً عن وطنه (ص٧٨):

قد مات في الميدان بعد جهاده إنّ الفتى من مات في الميدان
قد كان «جدي» في الشهادة أولاً وسعادتي في أن أكون الثاني

ويقول :

همني تنسف الجبال وعزمي لا يرى في الأمور أمراً محالا
قد خطبتُ العلى فغاليت بالمهر ومن يخطب الجميلة غالي

وهو ينظر الى قول فارس الحمدانيين :

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهرُ

وامل الشاعر وقد أحب وطنه ودعا الى الاستشهاد في سبيله قد تلفت الى التاريخ فجلا منه صوراً عزيزة فيها صور النبي الكريم وعليّ بن أبي طالب وابنه الحسين[1] ، وقد عاج خلال ذلك الى نفسه فوصف حياته بقوله (ص ١٠٠) :

يحيا حياة كلها غصص ويعيش عيشاً ماحلاً مرّا

وهو على هذا البؤس والألم يصف الطبيعة ومجاليها وفتنتها وسحرها ، ويصف المرأة بما وصفها به الشعراء ، فطرق أبواب الشعر المعروفة . وقد كنا نود أن يخلو هذا الديوان الوطني من صفحات التشبيب المادي فالدواوين المعاصرة تغني عنه ، ولكنه بسط العذر لنفسه فقال :

هناك لهوت مع اللاهيات كما يشتهي عنفوان الصبا

والديوان بجملته في أسلوب سلس سهل . ونحن مع الأستاذ محمد رضا الشبيبي الذي قدم الديوان فرأى في قصة هذا الشاعر المتألم « قصة الشباب العراقي بأمره بل هي قصة الشباب في كل بلد عربي مغلوب على أمره » ، ونحن مع الأستاذ الشبيبي في الدعاء لهذا الشاعر الشاب بالتوفيق .

الدكتور سامي الدهان

(١) وكنا نود أن يعرى هذا الديوان من القذف في الخلفاء (ص ١١١) لأن هذه النغمة بطلت ولا تليق بابن العصر أن يردد حديثاً سخيفاً أكل الدهر عليه . (المجمع)

ديوان ابن حيّوس

جزءان في ٥٠/٦٩٥ صفحة (مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧١)

قام المجمع العلمي العربي بطبع ديوان الشاعر الأمير ، مصطفى الدولة ابي الفتيان ، محمد بن سلطان المعروف بابن حيّوس ، الغنوي ، الدمشقي ، المولود سنة ٣٩٤ هـ والمتوفى سنة ٤٧٣ هـ - بعد أن حققه العلامة السيد خليل مردم بك تحقيقاً علمياً - فوضع له مقدمة ضافية ، تناول فيها البحث عن حياة الشاعر ، وعلمه وأدبه ، ثم شعره فبين خصائصه ، وذكر منزلته من شعراء وقته ، ثم وصف النسخ التي عول عليها ، أو رجع اليها عند الطبع - فجاءت هذه المقدمة حاوية لكل ما يتعلق بذلك الشاعر من دراسة وتحقيق . ووقع الديوان في بضع واربعين وسبعمائة صفحة مطبوعاً طبعاً حسناً بحروف واضحة مشكولة ، على ورق صقيل ، تقع المقدمة في خمسين صفحة ، وفهارس الأعلام والبلدان والأمكنة والقوافي والمراجع في عشرين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهر أثر التحقيق في كل صفحة من صفحات الديوان ، ظهوراً دل على بعض ما اتصف به الأستاذ الناشر من اطلاع واسع ، وصبر ، وجلد ، على كثرة مراجعة أمهات كتب الأدب واللغة والتاريخ ، التي عد منها ثمانية وستين كتاباً بين مخطوط ومطبوع .

ونشر المخطوطات القديمة نشراً علمياً صحيحاً لا يدرك مشقته ، ولا يعلم صعوبته ، الا من زاوله ، وعرف ما مُنيَت به تلك المؤلفات من كثرة التصحيف والتحريف . وللأستاذ في هذا المجال جولات حالفها التوفيق ، كتحقيقه لديوان الشاعرين ، علي بن الجهم ، وابن عنين . وقد علمت بأنه يقوم بتحقيق ديوان ابن ابي حُصَيْنة السلمي المعري ، وهو شاعر عاصر ابا العلاء المعري وعاش بعده ، حتى رثاه برثاة ذكر بعضها ابن الوردي في تاريخه . وشرح المعري ديوانه شرحاً

مماثلاً لشرحه ديوان البحتري (عبث الوليد) ويوجد بعض هذا الشرح في مكتبة (الآثار) في بغداد ، وصفتها في أحد أعداد مجلة المجمع العلمي سنة ١٣٦٨ . ويملك المجمع العلمي نسخة أخرى من شعر هذا الشاعر صورت في مكتبة (الاسكوريال) في اسبانيا .

ولقد أمضيت برهة قصيرة في مطالعة ذلك الديوان ، خرجت منها مطمئن النفس باحياء تراثنا العلمي العظيم ، الذي خلفه لنا سلفنا الصالح ، في جميع ضروب العلم وفنونه ولم نعدم بعد من يقدر ذلك التراث حق قدره ، ويعيره من الاهتمام والعناية ما يجعل الانتفاع به سهلاً ميسوراً .

ولقد مررت أثناء قراءتي الديوان بكلمات جنى عليها التطبيع (الخطأ المطبعي) فأعجمها ، وأخرى ظهر لي من وجه صوابها خلاف ما ظهر لأستاذنا مردم بك ، فأحببت الاشارة الى بعض تلك الكلمات .

١ — في الصفحات (٣٢١ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ، ٦٠٤ ، ٦٢٨) رَضْوَى جبل بالمدينة . مع ان المعروف ان هذا الجبل بعيد عن المدينة وواقع بقرب بلدة ينبع (بينها وبين ينبع النخل) ويشاهده مَنْ في البلدتين عن كثب ، كما يشاهده المارُّ في البحر عندما يحاذي ينبع عن قرب ، ولعل من الطريف ما وقع لي حينما كنت مدرساً في مدرسة ينبع فقد كنت أشرح للطلبة قول ابي العلاء المعري :

تهم الليالي بعض ما أنا مضمر ويثقل رضوى دون ما أنا حامل

نقلت (اعتماداً على قول بعض المتقدمين ، وكنت أجهل ذلك الجبل ، لحدوث عهدي بالقدوم الى تلك البلدة) : رضوى جبل قريب من المدينة ، سهل المرتقى ، ترقاه الابل . فقال الطلبة بلسان واحد : ها هو جبل رضوى من هذه النافذة ، وهو صعب المرتقى ، بعيد عن المدينة بمسيرة خمسة أيام للابل تقريباً !

٢ — وفي (صفحتي ٥٤٣ ، ٥٥٨) : يلملم جبل على ليلتين من الطائف .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

والصواب في رأيي ما في صفحتي (٥٧٦ ، ٦٠٤) : يلملم جبل على مرحلتين من مكة . والكلمتان اتفقتا وَضعاً ولم تختلفا صُقْعاً (انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١٧٥ ، ٢٦٤) . ولا يزال هذا الجبل معروفاً بهذا الاسم يمر به القادمون من اليمن بطريق تهامة الى مكة ويحرمون للحج والعمرة منه ، وهو الميقات الذي وقته رسول الله ﷺ لهم .

٣ — وفي (ص ٦٥٤) : وجرة بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلاً وليس فيها منزل فهي مربٌ للوحش . ولقد ذكرت حينا قرأت هذا التعريف قول الشريف الرضي :

سهمٌ أصاب ـ وراميه بذي سلم ـ مَنْ بالعراق. لقد أبْعَدت مَرْماك !

ولعل هذا من بلايا التطبيع حيث سقطت كلمة (طريق) قبل كلمة (البصرة) اذ بين وجرة وبين البصرة مئات الأميال ـ فهي تقع عن يسار طريق حجاج البصرة قبل وصولهم الى ذات عرق (محل ميقاتهم وهي الحد الفاصل بين نجد وبين الحجاز عند متقدمي المؤرخين) قبل وصولهم بمرحلة واحدة . قال ابو علي الحسن بن عبد الله الاصبهاني (في كتاب بلاد العرب ص ٤٧ ـ نسختي الخطية) : ثم تجوز مُرّان ، فترد الشبكة ، وهي ماء عليه تجار ، ثم ليس دون وجْرة إلا مُتَعشّى يقال له بُسْيان ، فيه من ماء السماء ، ثم أوطاس ، أشرفت على غور تهامة ، وعلى رأس الشرف مسجدٌ يقال له مسجد النجف ، ثم تشرف على ذات عرق ... وقال ابو جعفر : أهل الكوفة يحرمون بغمرة ، وأهل البصرة بوجرة وهو منهل من مناهل طريق البصرة ، وهما يتَتَرّآن ، وبينهما نحو من ثلاثة فراسخ .... وقال .. اذا خرجت من غَمرة أو وجْرة فأردت أن تجعل الى مكة مرحلتين فالمرحلة الأولى الغمير ، ومن جعلها ثلاثاً فمرحلة ذات عرق ، ثم البُسْتان ، ثم مكة . وقال الهمداني في (صفة الجزيرة ص ١٤٢ ، ١٤٣) : غمرة عن يسارها وجرة ، على طريق البصرة المارة بفلج

والموحدة وليس بها ماء ثم خرمان ثم ذات عرق . وقال (ص ١٨٥) : فمن مكة الى البستان تسعة وعشرون ميلاً وعرض البستان أحد وعشرون جزءاً وربع ومنه الى ذات عرق اربعة وعشرون ميلاً ، وعرض ذات عرق أحد وعشرون جزءاً وثلثا جزء ، ومنها الى الغمرة عشرون ميلا ، وعرض الغمرة اثنان وعشرون جزءاً ، وقال (ص ١٤٣) : ثم ترجع على الطريق البصري فتشرب بوجرة وهي بئر وبركة مُقَضَّضة ، ثم تهبط السّيّ وهي بلد مضلّة ، ثم أسفل منه بستان وأسفل من بستان الثراوات . كذا قال وبستان والنفراوات (بالفاء كما في كثير من كتب الأدب ومعاجم الأمكنة) لا تزال معروفة بأسمائها في عهدنا ، أما اسم (وجرة) فمجهول وقد أطلق عليها وعلى ما يجاورها من الأرض الفسيحة البراح الخالية من الجبال اسم (ركبة) وهو اسم قديم لقسم من تلك الأرض ورد في المعاجم القديمة تشمل في هذا العهد كل المواضع التي يطلق عليها قديماً (وجرة ، وغمرة ، والسّيّ ، واوطاس) ، ونسيت هذه الأسماء وجهل تحديد تلك المواضع ، ولا تزال ركبة مرتعاً للوحش (انظر تحديد ركبة كتاب « في بلاد عسير » ص ١٨ الى ٢٤ تأليف فؤاد حمزة) .

٤ — وفي (ص ٥٢٦) :

بأرض أنبتت كرماً وبأساً جناه العز لا نشماً ورغلا

وقد علق عليه الأستاذ قائلاً : في الأصل (لا يَنّماً ورغلا) وهو تصحيف غير يسير تصحيحه . والنشم شجر القسي يقال : معه زَوْراء من نَشَم . والرغل بالضم نبت ، وقيل السَّرمَق ، وهو نبات القطف معرب والقطف شجر جبلي خشبه متين انتهى . وأقول لعل الصواب (لا ينما ورغلا) . واليَنم ـ بالياء المثناة التحتية بعدها نون فميم ـ واحده ينمة نبات بريّ وَسْمِيّ ينبت في السهلة (الأرض الرملية) ذو ورق دقاق طوال ، أغبث اللون ، وله سنبل يشبه سنبل

الكراث ، فيه حبيبات صغيرة حلوة الطعم معروف بهذا الاسم عند بعض أهل نجد (أهل سُدَيْر لا يعرفونه الا بهذا الاسم) ويسميه بعضهم (ربلة) براء مكسورة بعدها باء موحدة فلام . وورد اسمه في بعض كتب متأخري فقهاء الحنابلة (بزر قطونا) يذكرونه في باب ما لا تجب فيه الزكاة من الحبوب .

وكثيراً ما يقرن الشعراء هذين الاسمين (اليَنَم والرغل) كقول المتنبي :

تحدي الركاب بنا بيضاً مشافرها خُضْراً فراسِنُها في الرُّغْلِ واليَنَمِ

أما الرغل فلا يزال معروفاً بين أهل نجد بهذا الاسم وهو من النباتات الصيفية التي لا تنبت الا في الرياض (القيعان) له أغصان قصيرة ، منفرشة على الأرض ، يبلغ طولها شبراً ، وله ورق مُؤَلَّلُ الأطراف ، صغير ، شبيه بورق الخبّاز ، ولونه أشهب ، تحمض الابل برعيه ، وليس شجراً جبليًّا ، ذا خشب متين .

٥ — وفي (ص ٥٣٦) : قبائل قيس العرب العدنانية ـ في شرح قول الشاعر :

وأنشرت في قحطان أوساً وحاتماً وأنشرت في قيس زياداً وجرولا

ومن المعروف ان العرب العدنانية لا يطلق على جميعها اسم (قيس) اذ أصولها أربعة : مضر ، وربيعة ، وأنمار ، واياد ، ثم مضر أصلان : الياس ، وعيلان ؛ أو خندف ، وقيس ، وقيس هم من عيلان (انظر طرفة الأصحاب في أصول الأنساب ص ٥٧ طبعة المجمع العلمي العربي سنة ١٣٦٩) .

٦ — وفي (ص ١٠٦) ورد هذا البيت بهذه الصفة :

بأبناء مرداس ـ وحسبك نضرهم ـ تعمّر جوداً كان قدماً تجاها ؟

وقد تبادر الى ذهني ان صحة البيت :

بأبناء مرداس ـ وحسبك نصرهم ـ تَعَمَّرَ جَوْدٌ كان قدماً تَجَهَّمَا

(تعمّر) أي قوي وجاد غيثه . و (الجَوْد) السحاب الغزير المطر . و (الجهام) الغيم الذي لا يمطر . وأهل نجد يقولون (تعمّر السحاب ـ وتَعَمَّرَ الخيال) ويقصدون اجتمع الغيم وقوي حتى تحقق نزول مطره ، ويدل على هذا المعنى البيت الثاني :

وزاد الى أن طبق الوهد سَيْبُهُ ولم يرض احقاف الرُّبى فتسنما

٧ — وفي (ص ٦٢١) :

فعل الصليحي بالجِبْشانِ مزدلفاً برابيك فما زالت به قدم

وعلق الأستاذ قائلاً (الصليحي هو ابو الحسن علي بن محمد الصليحي القائم في اليمن بدعوة المستنصر — انظر وفيات الأعيان (ج ١ ص ٤٦٠) ، جبشان مخلاف باليمن) . وأقول لعل الصواب : فعل الصليحي بالحُبْشان — جمع حبشي — اذ الصليحي قضى على دولة الحبشان التي قامت بعد الدولة الزيادية ، فحكمت زبيد ، ونواحيها من تهامة ، وهم موالي لآل زياد استولوا على البلاد بعدهم ومن مشاهيرهم (الحسين بن سلامة) وله مآثر في اصلاح طريق الحج من تهامة وحفر الآبار وتعبيد الطرق . ومن أولئك نجاح وجياش وسعيد الأحول (انظر أخبار هؤلاء في العسجد المسبوك — الباب الرابع — لأبي الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ نسخة مكتبة البلدية في الاسكندرية — وفي مكتبة الحرم المكي بمكة — وفي مكتبة السلطان محمود في المدينة — وقد ذكرهم عمارة اليمني في تاريخه وابن الديبع في بغية المستفيد في أخبار زبيد — وغيرهما) . ويؤيد هذا المعنى البيت الذي قبل هذا وهو :

وما أراك بما قد كان مقتنعاً حتى يبيد الهِلاليُّون كلهم

والبيت الذي بعده وهو :

لما سقى الأرض غيثاً من دمائهم لا تَدَّعي مثله في سَحِّها الدِّيَمُ

أما كلمة (الجيشان) فهي تصحيف لكلمة (الحبشان) جمع حبشي ، ورد في الشعر القديم :

وكل القوم يسأل عن نفيل كأن عليَّ للحبشان دينا

(انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٤ طبعة الأستاذ محيي الدين عبد الحميد بمصر سنة ١٣٥٦ — ١٩٣٧) .

٨ — وفي (ص ١٨٦) : أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن حمير . والذي أعرفه عن نسب أدد غير هذا فابن هشام (في السيرة ج ١ ص ٥) والهمداني

(في الاكليل ج ١ ص ١١ نسختي الخطية) وياقوت الحموي (في المقتضب من جمهرة النسب ورقة ٧٦ نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة سنة ٦١٦) وصاحب طرفة الأصحاب (ص ١٨ ، ٣٧) كلهم ذكروا أنَّ سبأً ـ أحد أجداد أُدد ـ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . كما ذكروا أن حمير هو ابن كهلان فيكون أخاً لِسَبَإٍ لا أباً له .

وفي (ص ١٩١) : بنو قريظة قبيلة من يهود خيبر . ولعل كلمة (خيبر) سبق قلم ، اذ هم من يهود المدينة . وقد أمر الرسول ﷺ بقتلهم فقتلوا لما غدروا بالمسلمين وخانوا عهدهم .

١٠ ــ أما ماجاء في المقدمة (ص ٥) عن منازل غني قبيلة الشاعر من أنها (مُجاورة لطيء) فلعل صوابه (قريبة من طيء) . اذ يفصل بين منازل القبيلتين قبيلة بني أسد ، وقسم من بني عامر ، تقع منازلهم مجاورة لغني من الجهة الجنوبية ، وهؤلاء يجاورون أسداً ، وأسد تجاور طيئاً (انظر في تفصيل منازل هذه القبائل كتاب « بلاد العرب » للحسن بن عبد الله الاصبهاني المعروف بلغدة ص ١٣ من نسختنا الخطية التي وصفناها في مجلة « التمدن الاسلامي » الدمشقية في عدد ذي الحجة سنة ١٣٦٨ وقد وصف الكتاب العلامة السيد محمد رضا الشبيبي في العدد الأول من مجلة « المجمع العلمي العراقي » .

هذه ملاحظات عابرة عنت لي أثناء مطالعة ديوان ابن حيوس ولست على ثقة من صحتها كلها وانما ذكرتها من قبيل المذاكرة ـ لينظر اليها ـ كما يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته (بعين الانتقاد لا بعين الرضا) .

وأما التطبيع في تشكيل الحروف فما يدرك بدون تنبيه أو اشارة اليه ، وهو قليل في الديوان ، لما بذله محققه من عناية بالغة ، واهتمام عظيم ، استوجب بها شكر الباحثين ، وتقدير الغُيُر على آداب اللغة العربية .

(الرياض) حمد الجاسر

رد على تعقيب

حول ديوان الوأواء الدمشقي

للدكتور سامي الدهان

من الخير للأمة العربية الناشئة ان تعنى بآثارها المخطوطة وأن تسنّ القوانين لحمايتها والحفاظ عليها وأن تقوم على حصرها ووصفها كما فعل الغربيون بمخطوطاتهم وغير مخطوطاتهم . وقد أصاب المخطوطات العربية في الغرب حظ غير قليل ، فقد خصّت بفهارس منظمة ، وحفظت في أماكن حصينة . وأما البلاد العربية فما تزال مقصرة في هذا الميدان ، فهي لا تُعنى باحصاء المخطوط ولا تلتفت الى وصف هذا المخطوط ، وقد سبقت مصر الى هذا ، ولحقت بها الشام ، وسارت في إثرها العراق ؛ أما مخطوطات البلاد العربية السعودية فنحن نجهل ثروتها وقيمتها إلا ما جاء في كناشات العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، وما وصفه الأستاذ محمد كرد علي . ولعل اخواننا علماء هذه البلاد عاملون لهذا الغرض ساعون في هذه السبيل .

وقد ساقتنا الى هذه المقدمة كلمة للأستاذ حمد الجاسر نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي (نيسان ١٩٥١ الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين) . وقد تفضل الأستاذ في كلمته فعرض على القراء نسخة خطية لديوان الوأواء الدمشقي وجدها في مكتبة الأمير مساعد بن عبد الرحمن بن فيصل آل السعود في الرياض . وذكر أن النسخة تقع في ٦٨ صفحة وأن تاريخ كتابتها ١٢٦٢ هـ . وزاد على ذلك أنها كثيرة التحريف والتصحيف . ثم قال : « فوجدتُ في المخطوطة خمسة أبيات ليست في المطبوعة فرأيتُ عرضها ليرى القراء رأيهم فيها ، ولكي يطلع عليها الأستاذ المحقق الدهان » .

وقبل أن أجلو الأمر في هذه الأبيات أحب أن أعلن شكري للأستاذ المحقق حمد الجاسر على جميل بده فقد سرّى عن نفسي هذا الغم الذي كنت أحس. وقد قرأ في مقدمتي لديوان الوأواء أني سعيت الى بغداد في سبيل مخطوطاته وسافرت الى النجف فاجتلبت نسختين خطيتين وجدتهما في مكتبتين خاصتين أولاهما للأستاذ محمد السماوي وثانيتهما للأستاذ صادق كمونه، وقرأ كذلك أني رحلتُ الى مصر فوجدتُ فيها خمس نسخ خطيّة كذلك، ورأى أني استجلبت من لننغراد ما أعانني على اكمال الديوان على الوجه الذي نشرت.

ولكن الهم الذي ساورني هو جهلي بما في البلاد العربية السعودية من نسخه الخطية، وقد ذكرتُ أن أربع نسخ منه في مصر ترجع في كتابتها الى القرن الثالث عشر الهجري، وان أقدم هذه النسخ كتبت سنة ١٢٩٧ هـ، وأن الفضل في وجود هذا الديوان بمصر يعود الى البلاد المباركة المقدسة. ولكنني لم أقع على ذكر لوجود نسخة خطية في هذا القطر تعينني في طبعتي.

فلما تفضل الأستاذ ببيانه سرّى عن نفسي فأعلمني بوجود هذه النسخة وأنها كتبت كذلك في القرن الثالث عشر. وأنها شبيهة بأخواتها النسخ المصرية في عدد الأوراق والأبيات وفي كثرة التحريف والتصحيف. وزاد في سروري أن الأستاذ عارض المخطوطة كلها على طبعتنا فرأى خمسة أبيات في مخطوطة الرياض رواها في مقطعتين، ونبه الى أنه لم يرها في الطبعة وظن أنها لم تقع لنا.

والواقع أن هاتين المقطعتين قد وقعتا في طبعتنا ورويتا على شكل حسن يدفع التصحيف الذي وقعت فيه مخطوطة الرياض. وقد سها الأستاذ عن مكان وجودهما عندنا في المتن وموقع ذكرهما في الفهارس.

أما المقطوعة الأولى فقد جاءت في الصفحة ١٤٥ تحت رقم ١٨٠ على الرواية التالية :

١ تقولُ وقد بانتْ حياتي لبَيْنِها   أتطمعُ أن تشكو إليّ وأسمعا ؟
٢ فلو كان حقّاً ما تقولُ لما انثنتْ   يداك وقد عانقتني بهما معا !

وقد ذكرتُ في حاشية هذه الصفحة اختلاف الروايات ، فبينت أن النسخ المصرية ترويها بالكاف : « وأسمعك ... معك .. » وأني اعتمدت نسخة مدريد وهي أقدمُ منها جميعاً وأثبت رواية وأقوم للمعنى الصحيح الذي طرقه الوأواء في مواقع أخرى من ديوانه .

وأما المقطوعة الثانية ـ التي ذكر أنها لم تقع في المطبوعة كما تفضل ـ فقد جاءت في الصفحة ٥٦ تحت رقم ٤٩ على الرواية التالية :

١ كأنَّ دمي يوم الفراق مروا به   وقد سفكوه باحتثاث الركائبِ
٢ أظنهم لو فتشوا في رحالهم   إذاً وجدوا آثاره في الحقائبِ
٣ إذا أنا دافعتُ الخطوب بذكرهم   نسيتُ الذي بيني وبين النوائبِ

والمقطوعتان مذكورتان كذلك في الفهرس الأخير للطبعة في الصفحتين ٣٥١ ، ٣٤٨ ، ولو تفضل الأستاذ فعاج ثانية الى الطبعة ، لرأى معنا بأن المقطعتين موجودتان وأنها في رواية تصحح رواية الرياض .

وبذلك ثبت أن نسخته لا تزيد على ما عندنا ولا تضيف رواية صحيحة وانما تبعث على الطمأنينة بأن هذه النسخة صورة لما حصلنا عليه في مصر ، فكأننا استخدمناها في طبعتنا ، والفضل في ذلك كله يعود للأستاذ الجاسر .

الدكتور سامي الدهان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرة عابرة في « ذيل طبقات الحنابلة »

للمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق يد مشكورة في نشر المخطوطات العربية الاسلامية ، والعناية بها عناية فائقة .

و « ذيل طبقات الحنابلة » للحافظ ابن رجب ، الذي نشره المعهد حديثاً فظهر منه الجزء الأول في أبهى حلة وأجمل عرض وتحبير ، قد وقع فيه فرطات وقفت عليها في نظرة عابرة ، وأردت أن يشار اليها (للتصحيح) في الجزء الثاني اذا كانت خطأ كما رأيتها .

١ – نقل الناشران في المقدمة بـ ص ١٠ عند حديثهما عن حياة المؤلف ابن رجب أن ابن حجر ترجم له في كتابه (إنباه الغمر) . وجاء (إنباه الغمر) بالهاء غير مرة في كلامها ، مما دل على أنه بهذا الضبط مقصود للناشرين .
والذي أعلمه في اسم كتاب ابن حجر (إنباء الغمر) بالهمزة بعد الألف ، مصدر (أنبأ) . وقد جاء اسمه في مخطوطة العثمانية بحلب (إنباء الغمر بأنباء العمر) . وهو كذلك بالهمزة في نسخة المؤلف التي اطلع عليها الأستاذ محمد زاهد الكوثري ونقل عنها وعزا اليها كما صرح بذلك في ص ١٨٢ و ٢٠٢ و ٣٦٧ من تعليقته على « ذيول تذكرة الحفاظ » .

وكذلك جاء اسم هذا الكتاب بالهمزة في عبارة كل من نقل عنه من متقدم ولاحق . وأذكر منهم الآن الشيخ أحمد رافع الطهطاوي ، فقد أكثر النقل عنه كثيراً في كتابه « التنبيه والايقاظ » وفي جميع المواطن يذكره باسم (إنباء الغمر) .

وذكره قبلهما صاحب « مفتاح السعادة » و « شذرات الذهب » و « كشف الظنون » في كتبهم المذكورة ، وسموه (إنباء الغمر) بالهمزة بعد الألف . فتسميته (إنباه الغمر) بالهاء خطأ محض وان كان يصح المعنى من حيث اللغة .

على أن الشطر الثاني من اسم الكتاب يعين الهمزة في الشطر الأول، وهو (إنباء الغمر بأبناء العمر) فالتوافق بين السجعتين في الوزن والحرف واجب صناعة، وهو المقصود لمؤلف ابن حجر كما هو ظاهر للمتأمل بأيسر نظرة .

٢ — وجاء في حديث الناشرين عن سماع ابن رجب ورحلاته بـ ص ١٧ (أنه لازم مجالس الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الى أن مات، وأن ابن النقيب والنووي أجازاه) اهـ .

أما ابن النقيب الذي أجاز ابن رجب فهو : شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن لؤلؤ القاهري الشافعي المعروف بابن النقيب المتوفى سنة ٧٦٩ عن ٦٧ سنة كما أفاده الطهطاوي في «التنبيه والإيقاظ» بـ ص ١٠٢ ، فتكون ولادته سنة ٧٠٢ ، ويكون هو أكبر من ابن رجب المولود سنة ٧٣٦، فيصح أن يكون أستاذاً له ويجيزه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما النووي — وهو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي — فولادته سنة ٦٣١ ، وتوفي سنة ٦٧٦ قبل ولادة ابن رجب بستين سنة، فلا يتصور أن يكون منه إجازة لابن رجب قطعاً . فما لا شك فيه أن لفظ (النووي) هنا تحريف إلا أن يكون المراد به نووياً آخر غير المشهور[1] .

٣ — وينقل الناشران بـ ص ١٧ أيضاً عن ابن حجر أنه قال فيه : «وقد مهر في فنون الحديث اسماً ورجالاً وعللاً وطرقاً» اهـ . وفي هذا النقل تحريف صوابه : «أسماءً — بلفظ الجمع — ورجالاً» الخ . كما جاء في مخطوطة (إنباء الغمر) التي كانت في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب، ورقمها ٢٣٨ وآلت الآن كسائر مخطوطات حلب الى مكتبة الأوقاف الاسلامية العامة بحلب؛ وتقع ترجمة ابن رجب فيها في الجزء الأول بـ ص ٢١٧ .

(١) وقد وقع في هذا الخطأ ناشر كتاب «تحقيق كلمة الاخلاص» لابن رجب .

بقي هناك بعض فرطات أكثرها مطبعية ، فمنها ما جاء بـ ص ٢٥ في السطر الخامس من المقدمة : (كتاب طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمد القاضي) صوابها : (للقاضي) ، وبـ ص ٣١ في السطر ٢٤ (مخطوطة المنبج الأحمد) صوابها : (المنهج الأحمد) ، وبـ ص ١٦١ في السطر ٨ (انّ هنا رجل) صوابه (رجلاً) ، وبـ ص ١٩٢ في السطر ١٣ (جنى على إجرامه) صوابه : (على إحرامه) بالحاء المهملة ، وبـ ص ١٩٣ في السطر ٤ (بُرّه ببُرّتين) صوابه (برَّة ببُرَّتين) .

ومما يصح أن يلحق بما يعد خطأ ما جاء في مطلع التمهيد من قول الناشرين : (... دل على نضوج العقلية الاسلامية) وليس في اللغة (نضوج) وانما فيها (نضج) . ويقرب من هذا الاستعمال قولهما بـ ص ٢٣ : (ولن نستطيع هنا الإفاضة في وصف المخطوط من هذه الكتب ، وتحليل المطبوع منها) فقد خفي علي معنى التحليل للمطبوع هنا ؟

وأحب أن أشير الى أن بعض مؤلفات ابن رجب ذكر على أنه لايزال مخطوطاً وهو مطبوع . من ذلك :

١ — الاستخراج لأحكام الخراج طبع في مصر سنة ١٣٥٢ .

٢ — الكلام على لا إله إلا الله طبع في مصر أيضاً سنة ١٣٦٩ .

٣ — نور الاقتباس طبع في مكة ثم طبع في مصر سنة ١٣٦٨ .

وعند الأستاذ أحمد عبيد نسخة مخطوطة منه لكنها تامة لا كالتي طبعت في مكة ومصر فان فيها نقصاً كبيراً .

وفي الختام أشكر للناشرين الأمينين جهودهما المشرقة في إحياء هذا الأثر الإسلامي الغالي ، وفي كل أثر سبق لهما نشره ، وأتمنى أن يحظى كل كتاب عربي بما حظي به منهما هذا الكتاب .

(حلب) عبد الفتاح أبو غدة

ملاحظات (١)

ورد الى رئاسة المجمع كتاب من الأستاذ عبد الله كنون أحد فضلاء المغرب الأقصى جاء فيه ما يلي :

أقدم الى مجلسكم هذه الملاحظات الصغيرة على مقال الأستاذ المغربي ، المنشور بصفحة (١٥١) في موضوع (جمع سيد على أسياد) وقد بناه على توهم أصلية الحرف واني كنت أعتقد أن العرب عدلت عما يستحقه البعض في مثل (قيل من الجمع هي أقوال) لدفع التوهم وانه جمع قول وكذا جمع ريح على أرياح لئلا يلتبس بجمع الروح . وعندنا في العامية شيء من هذا . فمثلاً تقول العامة قدم وفد الزيّار يعنون جمع الزائر ولا يقولون الزوّار لئلا يلتبس عندهم بالمزور كثير قول الزور أو شهادة الزور . وبما ان العامة في كلا اللفظين لا تحرك الحرف الأول بل تنطق به ساكناً فانه ليس عندها ما تفرق به الا ابدال الواو ياء . وكذا في جمع قائد على قيّاد ولا تقول قوّاد خوف اللبس . هذه ملاحظة على هامش الموضوع كانت تنقدح في ذهني قبل قراءة بحث الأستاذ المغربي ولم تتح لي قط درس الموضوع . ولا شك أن صاحب البحث عنده ما يشفي الغليل في هذا الباب . وأما الملاحظة الأساسية فهي على ما كتبه في استعمال المغاربة للفظة (سيد) فحقيقة أننا نقول سيدي بكسر السين مثل سيدي خليل وسيدي (زروق) لا ابن زروق وسيدي (ابن عاشر) لا ابن عاشور . وهذا الاستعمال يكون في غير الأشراف للتعظيم كما في استعماله لهؤلاء الأعلام . ولغير الأشراف نستعمل لفظة (السي) Si فقط ولا يجوز استعمالها في حق الأشراف لأن ذلك مؤذن بالطعن في نسبهم .

(١) راجع مقال « جمع سيد على أسياد » في مجلة المجمع مج (٢٦) صفحة ١٥١

وأما لفظة مولاي فليست خاصة بذوي المناصب كما قال الأستاذ الفاضل بل هي أيضاً خاصة بالأشراف ، ولا تستعمل لتعظيم غيرهم . فمثلاً لا تقول مولاي خليل ولا مولاي زروق كما ان ذوي المناصب .مها كبر شأنهم لا يقال لأحدهم مولاي فمثلاً الوزير المغربي لا يقول له أحد مولاي محمد المغربي . وعلى كل حال فلفظة مولاي هي وان كانت خاصة بالأشراف فاستعمالها لا يحتاج الى حذر كبير . ففي الأسماء الأعلام غير محمد مثل احمد وعلي والعباس وما بدئ بعبد كعبد الله وعبد الحفيظ وعبد الرحمن يجوز استعمال لفظة مولاي . ولذلك يقال للسلطان السابق مولاي عبد الحفيظ والأسبق مولاي عبد العزيز ولوالدهما السلطان مولاي الحسن ويقال لولي العهد اليوم مولاي الحسن ولأخيه الأمير مولاي عبد الله ولأخي السلطان الأمير مولاي ادريس ولا يقال لجلالة الملك مولاي محمد مع أنه صاحب أكبر منصب في المغرب وله فضل على النهضة العلمية والسياسية . ويحبه المغاربة حب تقديس . لماذا ذلك ؟؟ . لأن لفظة مولاي محمد أو مولانا محمد خاصة عند المغاربة بالنبي ﷺ ، فلا يشركون معه فيها غيره . وإذا ما قيل للسلطان ـ مولاي ـ فانما يكون ذلك بالانفراد عن اسمه . ولا أنكر أنه في بعض أحوال المبالغة يقال مولاي محمد . فوجب تحرير هذا لأنه في مثل مجلة المجمع لا يقر غلط مثله . وقد نسيت ان أقول انه ربما جمع بين اللفظتين معاً فقيل سيدي مولاي فكان وهذا كله في أحوال نادرة من المبالغة والتعظيم وخاصة للأولياء والأشراف .

عبد الله كنون (طنجة)

(استدراك)

جاء في هذا الجزء ـ السابع والعشرين الصفحة الـ ١٠٩ ـ : كنا نود توسع المؤلف ، وصوابه : كنا نود لو توسع المؤلف .
وفي الصفحة الـ ١١٠ أن ينبسط ، الصواب : أن يتبسط .

(استدراك ثان)

قلنا ـ في الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع ـ تقول العرب : « فعله من نفسه أو من ذات نفسه » ولم يرد في ما اطلعنا عليه من المعاجم القديمة « فعله من تلقاء نفسه » وتساءلنا عما اذا كان هذا الاستعمال صحيحاً وعليه نص في القديم المعتمد من معاجم اللغة ؟

وقد نبهنا أحد الأدباء على أن الاستعمال وارد بنصه في القرآن الكريم في سورة يونس الآية الـ ١٦ : « قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي » .
وفي الصفحة الـ ٦٠٨ من الجزء نفسه :
أما رفائيل على ما أوردها الدويهي فلم تسمع سواء أُضيفت الى «عين» أم «عند» .
والصواب : « سواء أُضيفت اليها « عين » أم « عند » .
وفي الصفحة الـ ٦١٢ :
فلما ان أمكنت الحال في سورية .. قالت
والصواب : « فلما ان أمكنت الحالُ حكومة سورية .... وقالت .
وفي الصفحة الـ ٦١٣ :
فهو فعل صادر عنه لا عليه ، والصواب : فهو فعل لازم لا متعد .

عارف النكدي